إلى القارئ

تدخل « الفكر » بهذا العدد سنتها الخامسة أشد ما تكون ايمانا بنبل الرسالة التى اضطلعت بها خدمة للادب التونسى ومساهمة فى بعث الآداب العربية والفكر العربى بهذه الديار ، وأمضى ما تكون عزيمة على قهر الصعاب وبذل ما فى المستطاع لمواصلة العمل وخدمة الوطن مستوحية تلك القيم البشرية السامية الخالدة التى يستمد منها الانسان انسانيته ويكون بها للوجود معناه وغايته .

والذين تتبعوا خطوات هذه المجلة واستقرؤوا أعدادها بانتظام منذ أن بعثناها للوجود ـ ولم يكد أوار معركة الاستقلال ينطفىء حينئذ ـ لاحظوا أننا لم نزل نوفق بين ضرورتين اثنتين : بين وجوب رعاية حرمة الادب الاصيل وضمان حرية الاديب وصون تجربة الخلق والابداع التى لا بد منها لكل عمل أدبى انشائى طريف ، وبين منزلة الانسان المشخصة المحصورة فى حدود الزمان والمكان الماثلة أمام كل حس مرهف وضمير حى وعقل يقظ . فكنا دائما ننشر الى جانب رائع الشعر والقصص وعميق الدراسات الادبية بحوثا حول المشاكل التونسية أو العربية عامة فى دنيا الثقافة والتعليم على الخصوص ، وحول الظواهر الاجتماعية والنفسانية والفكرية التى تفرض اليوم نفسها فى المغرب الكبير وفى العالم العربى وتتطلب الحلول الصحيحة .

وفى نفس هذا الاتجاه تتشرف مجلة « الفكر » بأن تفتتح سنتها الخامسة بعدد ممتاز خاص بدراسة العلاقة الموجودة أو الواجبة الوجود بين الجامعة وبين المجتمع ، الافريقى الآسيوى منه على الخصوص ؛ وان ما يجده القارىء فى هذا العدد من ممتع البحوث وشيق الدراسات انما هو من أعمال المؤتمر العالمى الذى انعقد بتونس فى شهر أفريل المنصرم للنظر فى الدور الذى تلعبه الجامعات فى المجتمع ، وقد نظمته هيئة « حرية الثقافة » العالمية بالاشتراك مع الجامعة التونسية الحرة .

فعسى أن نكون قدمنا لقرائنا الافاضل فى وطننا العربى الكبير ما يعينهم على الالمام بواقع الجامعات فى العالم العربى الاسلامى اليوم وبمشاكلها التى هى مشاكل الثقافة والفكر ومشاكل الانسان فى سعيه الدائب لمعرفة نفسه ومعرفة مصيره وتوقه المستمر الى حياة أفضل ومنزلة أسمى .

الفكر

كلمة السيد كاتب الدولة للتربية القومية

انـــــى قد حاولت التخلص لبعض لحظات من شواغلى ككاتب دولة للتربية القومية للحضور بينكم ، وقبلت بابتهاج رئاسة جلسة افتتاح أشغالكم ، لكن واحتراما للصفة الحرة غيرالحكومية التى لمنظمتكم ولاجتماعكم فأنى قبلت ذلك بوصفى جامعيا فحسب • وهكذا أكون قد قمت قياما بسيطا ــ ولكنه لا يخلو من خالص العطف ــ بواجب محبب الى النفس ألا وهو اقتبالكم اقتبالا أخويا وتوجيه تحية الجامعة التونسية الناشئة اليكم والى المنظمات التى انتدبتكم •

وهل توجد فرصة أحسن وأفضل من هاته التى سنحت للجامعة التى نخدمها كلنا أن تثبت مرة أخرى دوام تقاليدها وقيمها المثلى ، وللفكر أن يعلن باعتزاز من جديد عن حريته المطلقة وكرامته الاصيلة ؟ كيف لا وأن أشغالكم ستهتم أولا وبالذات بالفكر أى بالانسان وان اجتماع كل هؤلاء الجامعيين والعلماء والمثقفين من أنحاء العالم ضمن مؤتمر حرية الثقافة ولجنة العلوم والحرية ، وانعقاد هذا الملتقى نفسه لمن الادلة العديدة المؤثرة الساطعة على بحث الانسان وجوسه المتفانى فى سبيل تحقيق مصيره الفكرى وان اختياركم تونس للتقاكم له معنى رمـزى بعيـــد •

ذلك أن هذا البلد ليستقبلكم فى نطاق وحدة فكرية كاملة حيث أن تونس التى يقودها منذ 30 سنة رسول الحرية والثقافة الرئيس الحبيب بورقيبة • والتى دخلت بحماس ، منذ حصولها على استقلالها ، معركة تشييد ــ الانسان ــ تهىء لكم جـوا يساعد عـلى الاستفسارات والمباحثات والمجادلات الاساسية • وان جغرافية وتاريخ تونس ــ التى تقع وسط البحر الابيض المتوسط كجسر ممدود بـين الشرق والغـرب تتلقى من قـرن لآخر مـد وجـزر الفكـر الذى يهب من الشرق أو من الغرب ــ يجعلانها تشعر بنحو من الميل الى مساعدة مثل هذه المحـاولات الشريفـــة •

وهذه الارض ــ التى شاركت منذ القديم مشاركة فعالة فى جميع المبادلات والاتصالات بين الحضارات والشعوب من الفنيقيين والاغريق والرومان الى العرب والوندال والاتراك والفرنسيين ــ قد جعل منها العصير التاريخى لا نقطة اتصال

بين حركات الشعوب المتنوعة فحسب بل ملاذا وملجأ يحتمى به أثناء الغزوات فتجتمع به الاجناس المتنوعة ويختلط بعضها ببعض وتقوى وتزدهر . وهكـذا حافظت تونس على مؤلفات مختلف الكتاب من ترتيرليان والقديس أوغيستينوس الى ابن خلـدون ، كمـا حافظت عـلى آثـار المعتقـدات المتنـوعة من يهـودية ومسيحيـة واسـلاميـة وآثـار المـذاهب الفلسفيـة والـدينيـة المختـلفة . وهذا العصير الذى نشأ عن وضع تـونس الجغرافى والذى صاغ وطبع بطابعه الخاص روح البلاد ذاته قد نما بفضل الحوادث العالمية العصرية وبفضل تكـاثر المبادلات التى سمحت بها فنون العصر الحديث .

وقصارى القـول انه ينبغى أن نستعرض جميع أطوار تـاريخ هذه البـلاد العربية الاسلامية لنتبين انه المكان الذى وقـع فيه أكثر تحـاكك وأدومه بـين الثقافات والحضارات ، ان تـونس تعطينا الدليـل تلو الدليـل على أن مناهج سلوكها وجوهر فلسفتها وتفكيرها السياسى والثقافى مستمدة من هذه الرسالة الطبيعيـــــة .

ورغم مواجهتها فى آن واحد للمشاكل العويصة التى تعترض البلدان القليلة التطور عند ما تتحرر فأن تونس ـ أرض الثقافة ـ لم تزل منذ ثلاثة سنين ـ أى منذ ان أرجعت استقلالها ـ توالى بـذل المجهودات فى سبيل التربية والجـامعة حيث أن نصيب التربية والتعليم من الميزان الذى أثقلت كاهله حاجيات التمويل والتجهيز الاقتصادى فى ازدياد مستمر ، فقد بلغ هذه السنة ما يقرب من 19 فى المائة أى خمس ميزانية الدولة تقريبا .

وان الارقـام التالية لتدلنا عـلى مدى انتشار التعـليم الابتدائى بالبـلاد التـــونسيـــة :

فمن مجموع 000 800 طفل تقريبا يؤهلهم سنهم لمزاولة التعليم لم يقبل منهم فى المدارس الابتدائية فى أكتوبر سنـة 1955 الا 000 250 وقد بلغ هذا العـدد أكثر من 000 350 فى مستهل السنـة الدراسية الحالية وان المشاريع المضبوطة تجعلنا نأمل أن يجد جميع الاطفال مكانهم فى المدارسة بعد مضى أقل من عشرة سنـــــين .

وفى ميدان التعليم الثانوى لم تزل شبكة المعاهد الثانوية فى نمو حتى تعم المدن الجهوية الصغيرة التى كانت محرومة منها ولم يزل عدد التلامذة فى ازدياد متواصل ، وهكذا الامر بالنسبة لمعاهد التعليم الفنى والتكوين الصناعى

ولكن لا تتجلى مراعاة جهود بلادى لمبادىء ومقتضيات الثقافة بهذه الصورة فحسب ، فان مشروعا لاصلاح التعليم قد أنجز ودخل حيز التطبيق فى غـرة أكتوبر من هذه السنة وهو يهدف أولا وبالذات الى ملاءمة التربية والتعليم لمقتضيات

تطور الامـة ولمقتضيات العصر الحديث والى تحوير برامج التعـليم حتى تصبح أكثر فاعلية وذلك بالتخفيف من المواد الثانوية والاكثـار من المـواد الاساسية وخاصة العلوم والرياضيات ٠

ولقد مكننا هذا التحوير الاصلي من الاقتصاد في مدة التعليم وساعاته وخول لنا تحقيق انتشار التعليم دون الزيادة في محلات التعليم وفي عدد المعلمين ٠ أما النتيجة الحاسمة لهذا التحوير فهو اعطاء تعليمنا صفة علمية وتوجيها فنيا وذلك تماشيا مع الاتجاه الحالي الذي أصبح من خصائص فكر وعالم خاضعين كل الخضوع للعلوم والفنون ٠

وأخيرا يختص اصلاح التعليم بارادة تخليص التربية من آفاق قومية ثقافية ضيقة حتى يكون التعليم التونسي متصلا كل الاتصال ببقيـة العالم وبمختلف الحضارات والثقـافات

فبفضل دراسة اللغات والآداب الاجنبية دراسة ضافية وبفضل اتساع نطاق البحوث التاريخية والجغرافية أصبح التعليم يهـدف بصفة مباشرة الى اظهـار التضامن المتين الذي يجمع بين الثقافات والى اثبات معنى الدوام التاريخي وتطور احداث الحضارة البشرية الهامة وأخيرا الى بيان الارتباط الذي يوجد بين الاحداث الاقتصادية والاجتماعية في عالم ليسوده روح التضامن المتـــين ٠

وأخيرا تتمة لهـذا المشروع الثقافي الكامل فان انشاء جامعة تونسية قائمـة بذاتها يسترعي انتباه الحكومة ٠ فمنذ ثلاث سنين أحدثت معاهد مختلفة للتعليم العـــالي :

- دار عليا للمعلمين تسهر على تكوين أساتذة التعليم الثانوي ٠
- مركز للدراسات الاقتصادية ٠
- ومدرسة عليا للحقـوق ٠

وبالاضافة الى الجامعة الزيتونية والى معهد الدراسات العليا الـذي يحتوي خاصة على أنواع مختلفة من الدراسات العلمية تحت أشراف جامعة باريس فان هذه المؤسسات تكون عناصر صحيحة لجامعة تونسية ذاهبة نحو تطور ونمـو سريـــــع ٠

اني لم أرد بهذه المعلومات التي بسطتها لكم في شأن الجامعة واصلاح التعليم الجديد أن أسبق البيانات المفصلة التي سيقدمها لكم في هذا البـاب زميـلاي الفاضلان الفاني والشابي بل كل ما أردته هو أن أبـين لكم باختصار المبـادىء التي سارت عليها مجهودات وانجازات بلادي في هذا المضمار ٠

فاذا كان من أهداف الاصلاح الاساسية نشر التعليم بصفة شاملة وجعلـه اجباريا في أقرب وقت ممكن ومتماشيا مع تطور العلوم والفنون ومع واقع العالم الحديث ومقتضياته ، واذا كانت الجامعة التونسية الناشئة من جهة أخرى تسعى الى أن تقوم على أساس البحث العلمي وأن تستنبط قواها الاساسية من سلطة

الفكر الخلاقة ومن جهوده فى سبيل اكتشاف الحقيقة ــ فان تونس ــ الدولة المستقلة والدولة العصرية رأت أن من أول المهام التى يجب عليها القيام بها ــ بعد ما تحررت ــ العمل على ايجاد نظام تعليمى وتثقيفى وجهاز جامعى يلائم فى آن واحد عبقريتها الخاصة وتقاليدها الثقافية ومثل العصور الحديثة حيث أنها فهمت ان الحرية والثقافة لا تنفصلان بعضهما عن بعض وان لا حرية حقيقية للانسان اذا لم تسم قوات الانسان الحيوية لتبحث بحثا عميقا لا نهاية له عما يمكن الانسان من اصابة مصيره وكيانه وذلك بانتهاج سلوك فكرى علمى وتمحيص قيم الحضارة تمحيصا مضبوطا موضوعيا ·

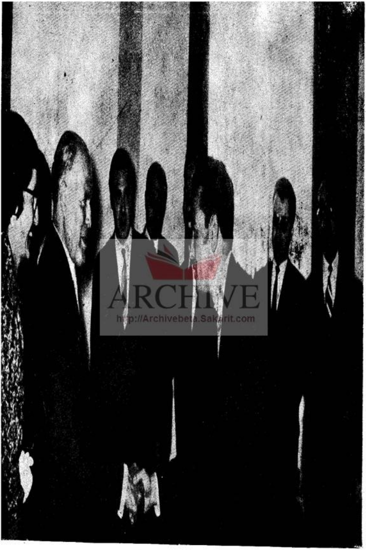
ان الثقافة التى هى من عمل الانسان والتى هى خلق حر حسب مفهومها ــ ودائم حسب جوهرها ــ تخلق من جهتها وتخلد الانسان الحر البالغ من الكرامة البشرية المستوى اللائق بمعنى انسانيته

ان بلادى تريد أن تبقى مخلصة لهذا المعنى من الثقافة وذلك بواسطة نظامها التعليمى وجامعتها تماشيا مع رسالتها ومع تقاليدها وهى لا تنسى أن التراث الفكرى والتقاليد الثقافية العربية الاسلامية التى تنتسب اليها والتى تعمل على احيائها وتعصيرها ترفض كغيرها من الحضارات البشرية الكبرى « اشتراكية الانسان » وهى ما زالت متعلقة تعلقا عميقا بحرية البشر الذى تريد أن تبتعد به عن تحديده بالمجتمع أو بالاقتصاد وهى لا تنسى كيف استطاع الاسلام مع احترام الكرامة والحرية البشرية أن يخلق وأن ينمى فى الانسان الضمير الاجتماعى ذلك المعنى الجماعى الذى ألف طوال القرون بين الملايين من البشر دون أن يحدد أو يفسد من ارادة الانسان الحرة ·

ان تونس لا تجد عناء فى أن تقيم من جديد التعليم والجامعة والثقافة العصرية التى اختارتها بعزم ثابت على أساس تلك الانسانية التى سلكت مذهبا « ديناميا » والتى تحافظ عليها بحماس · فبفضلها استطاعت أن تلائم على أحسن وجه بين ارادة التعصير وبين المحافظة على ذاتية ثقافتها وأن تجد حلا للمشاكل الناجمة عن علاقة الثقافة بالحرية وعلاقة المجتمع بالثقافة وعلاقة المجتمع بالجامعة ·

هذا سيداتى سادتى هو باختصار أهم عناصر المثل التى تسير على هديها الى الامام تونس المستقلة ، ولهذا قلت فى بداية حديثى منذ حين ان تونس البلد الذى التقت فيه الحضارات والمكان الممتاز لتحاكك النظريات الخلاقة ومرفأ السلام البعيد عن الاضطرابات والهيجان والساحل السعيد لهذا البحر الابيض المتوسط الذى كان مهد ومنبع كثير من الحضارات ، هذا البلد يستقبلكم وهو فى صعيد واحد معكم من الافكار والمبادىء · وهذا ما يجعلنى أثق بنجاح ملتقاكم وبنتائجه المثمرة ·

ولا يسعنى فى ختام هذه الكلمة الا أن أتمنى ــ وأنا أفتتح هذا الملتقى ــ أن تنجح أعمالكم نجاحا تاما ·



سيادة رئيس الجمهورية يستقبل أعضاء المؤتمر

إعتبارات عامة حول الجامعة المزمع إحداثها بتونس

بقلم الأمين الشابي

سيداتي ، سادتي ،

قد عنيت بمشاكل التعليم العالي منذ اضطلاعي بأعباء وزارة المعارف التونسية خلال السنوات 1956 و 1957 و 1958 حيث أتيح لي أن أشرف على تسيير معاهد جامعية موجودة بعد كمعهد الدراسات العليا أو محدثة في بحر تلك المدة كمدرسة المعلمين العالية والمدرسة العليا للحقوق ومركز البحوث الاقتصادية وكلية الشريعة الاسلامية

وانه ليسعدني بمناسبة انعقاد هذه الندوة الجامعية بتونس أن أقابل آرائي الشخصية حول موضوع الندوة ألا وهو : « الجامعة والمجتمع » بوجهات النظر التي يقدمها الجامعون النابهون والمشاركون في هذه الندوة والمنتمون الى جامعات مختلفة يوجد بعضها بالشمال الافريقي والبعض الآخر بالشرق الاوسط وافريقيا الوسطى وآسيا وأوروبا

الجامعات أمام مشاكل العصر

ان العلاقات بين الجامعة والمجتمع في مختلف الاصقاع والبلدان تختلف باختلاف الاصقاع والعصور . فمن فترات تستمر فيها بينهما الصلات المثمرة الى عهود تحجر وجمود لا يقع أثناءها التجاوب المنشود الا قليلا ومن قدرة على التطور الى أحد الطرفين أو لديهما معا الى تفاوت في المفاهيم لا سبيل الى تداركه ومن قابلية متبادلة الى انكماش وانزواء . تلك هي مشكلة عصور التحول والانقلاب وهي مشكلة هذا العصر خاصة اذ لم يعرف التاريخ الى حلول القرن التاسع عشر انقلابا صناعيا واجتماعيا وفكريا كالذي عم المعمورة بهذه السرعة المدهشة . ذلك أن عالمنا هذا تغير تغيرا كليا في اقل من قرن واحد تبعا لتقدم العلوم الصحيحة والفنون الآلية التي نهضت بها الحضارة العالمية الغربية .

وما من شك في ان الحضارة الحديثة باعتبار مقوماتها الاساسية تهدف الى تحقيق الغايات الاقتصادية قبل غيرها وما من شك في ان مسائل الانتاج والانتاجية بعد ان احتلت المكانة الاولى في سلم القيم التقليدية اصبحت عنوان الرقي والحضارة ووسيلة العمل المنشود . وكان أن طويت الابعاد وتداخلت الامم والشعوب وشاهد **الحاضر والبادي** ما أحرزت عليه البلاد

الراقية من وفرة الرخاء وبسط النفوذ وامتداد الجاه فجرف السيل البشرية جمعاء واصبحت المشاكل الاقتصادية مشكلة الساعة فى العالم بأسره ٠

وفى الحق فليس فى هذه الظاهرة الشاملة الجبارة على العموم ما يدعو الى التشاؤم اذا قيس ما قدمته الحضارة الحديثة للبشرية من خدمات جليلة بما انطوت عليه فى الوقت نفسه من شوائب ومعايب لا بد من ذكرها وتعهدها بالمراقبة والاصلاح ٠ واعجب ما فى الامر ان السم فى الدسم وان سر النجاح هو مصدر التعثر ٠ فمن هذه التكاليف الفادحة استفحال الآلات فى مختلف ميادين العمل واستعبادها للبشرية ومن ذلك العمل اليومى المرهق المضنى ومن ذلك رضوخ العقول لهيمنة وسائل الدعاية الجماعية الرخيصة مع تضايق المتسع الحيوى بالبشرية الكادحة وانخرام نظام الاسرة فى طلب الكسب ٠ ينجر عن ذلك تقويض لجوانب مهمة من المقومات الانسانية يعبد الطريق امام العاهات الخلقية والاجتماعية ٠ وهذه التكاليف الفادحة تزداد تشعبا فى البلاد المتخلفة حيث لايماشى تطور العادات والاخلاق التطور السريع الحاصل فى وسائل العمل والانتاج الحديثة وحيث يربى ويثقف الشباب غالبا خارج نطاق التراث الثقافى الموروث

وعلى كل فان نواحى العظمة ونواحى الضعف فى حضارة هذا العصر تعين على ضبط أهداف الجامعة فى المجتمع الذى تسعى فيه وتعمل لفائدته ٠ وهذه الاهداف اذا لم يكن من الهين التوفيق بينها فى الوقت الحاضر فانها ستكون لا محالة أشد أشكالا واستغلاقا مع انتشار الثورة الصناعية الثانية المنتظرة التى يلوح اليها فى ميادين الانتاج الصناعى ظهور الاوتوماتيكية الكاملة وتسخير الطاقة الذرية ٠

سياسة التعليم بتونس

تهدف مساعى حكومة الجمهورية فى حقل التربية والتعليم فى تونس **بعد الاستقلال** الى ديموقراطية التعليم وفاعليته وهما ظاهرتان اساسيتان يتمثلان فى بضعة أمثلة منها تأميم نحو ألف قسم تابعة للتعليم الابتدائى الحر قصد سحب مجانية التعليم الابتدائى على كامل تراب الجمهورية ومنها حذف المنح المدرسية التى كان يطالب بها من قبل تلامذة الليسيات الثانوية ومنها تضخم المنح والقروض الشرفية المعدة لطلاب التعليم العالى وفى نفس الوقت كانت المشاريع الاجتماعية المدرسية تساير هذه المجهودات بأحداث قرى الاطفال والمطاعم المدرسية ومنح الادوات المدرسية والكتب والكسوة للتلاميذ الى آخره ٠ وكل هذه التدابير انما تهدف الى تحقيق تكافؤ الفرص بمديد المساعدة الفعالة لابناء الطبقات الاجتماعية المقلة وهذه السياسة التى كان يغذيها بشخصيته الكريمة فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة رئيس

الجمهورية التونسية كانت من ناحية أخرى تبذل مجهودات مقابلة وموفقة فى الوقت نفسه فى سبيل نشر التعليم الابتدائى والثانوى

ومن الناحية البيداغوجية فان مطابقة البرامج للحقائق الوطنية ولواقع البلاد وتخفيفها بتشذيب المسائل العتيقة مع تجديد طرائق الدراسة والابقاء على لغة أجنبية ثانية فى التعليم تهدف آخر الامر الى أن تجعل من التعليم التونسى أداة حاسمة فى سبيل التقدم الثقافى والاقتصادى والاجتماعى .

وظائف الجامعة التونسية ومستقبلها

الغاية من الجامعة التونسية المزمع احداثها تتويج هذا البناء المدرسى والتربوى الذى قدمت الامة والدولة فى سبيله وبصورة مستمرة تضحيات جسيمة ومن اليسير أن نتصور بموجب انتشار التعليم المستمر ازدحام حاملى الباكالورياعلى أبواب الجامعة بعد بضعة سنوات وان التعليم العالى مهما كان نوعه ليكون مجديا يجب أن يندرج فى الواقع القومى وأن يسد حاجيات المجتمع ومن هنا يجب أن يهدف الى استعمال كامل طلبته فى الحقل القومى وعلى هذا الاساس فلا بد للتعليم العالى من أن يحدث الاطار الضرورى لهذا التقدير الشاق وأن يجد فى هذا الباب للفحص الحثيث المستمر الذى لا ينى وهذا المجهود فى نظرى ينبغى أن يتجه الى ناحيتين اثنتين تتم احداهما الاخرى عليه أولا أن يحدث المجلس أو المجالس الاستشارية الكفيلة بتحديد سياسة جامعية تنظر الى الحاجيات العاجلة والاجلة وهذا المجلس أو هذه المجالس تضم لا محالة ممثلى كتابات الدولة أو المصالح الرسمية كما تضم ممثلى الميادين الاقتصادية والاجتماعية البارزة فى البلاد والى جانب هذا المجلس المطالب بالنظر والتفكير وبعد تحديد الاهداف التى يجب تحقيقها مع تعميم سلم الحاجيات يبقى على الجامعة أن تقوم بتوجيه الطلاب عند دخولهم الجامعة وأثناء دراستهم العالية (I) ذلك أن تجنب الخيبات والخسارة أثناء الدراسة يرجع الى حسن التوجيه أولا والى وفرة الاساتذة وأماكن الدرس والتجهيز ثانيا ومن ثم أهمية التوازن ما بين ميزانية الجامعة وحاجياتها أما استعمال حاملى الشهادات الجامعية فأمر يرجع الى مواطن العمل وهو ما يمكن ضبطه وحصره وليس من الانصاف أن يحمل هذا التقدير على الجامعة وحدها فخطر ما يسمى ببطالة المفكرين الذى يكون على حساب مجازى الجامعات يجب أن يتجنب مهما كلف ذلك خاصة فى البلدان الناقصة النمو حيث تكون الخسارة باهضة الثمن جدا قد يقال ان هذه سياسة تقدير وتقتير تلتزم مبادىء المفكر ملتوس المتشائم بيد أنها لا كذلك فى ظاهر الامر لا فى حقيقته حيث المسألة مسألة تكييف وتصنيف لا مسألة تحديد فى الكم أو تنقيص فى المجموع ودليلنا

(I) سنرى فيما يلى أن هذا التوجيه لا يكون كاملا الا اذا شرع فيه منذ مرحلة التعليم الثانوى .

على ذلك طلب الاختصاصيين بصورة بالغة في كل نظام اقتصادي عصري نذكر على سبيل التمثيل انه يجب نحو خمس في المائة من المهندسين وخمسة عشر في المائة من الفنيين بالنسبة لليد العاملة المستخدمة في الصناعات الحديثة ولوفرضنا أن تونس تشغل مائة ألف عامل في الميدان الصناعي فقد يقتضي ذلك أن تكون تونس حوالي أربعة عشر ألفا بين مهندسين وفنيين وهو عدد قريب من جملة تلامذة التعليم الثانوي والفني في الوقت الحاضر فالمسألة حينئذ مسألة توجيه تعقبها مرحلة الانتخاب الخاصة بضبط مختلف المستويات

وهذا التوجيه يستدعي كما قلنا مراقبة مستمرة لحاجيات البلاد العاجلة والآجلة وقد يكون أجزل فائدة لو أنه يباشر مبكرا أي من مرحلة التعليم الثانوي العام أو الفني لان مثل هذه الغربلة المبكرة تقدم للتعليم العالي طلبة قد اتجهوا بعد الى ميادين مختلفة مما ييسر وظيفة الجامعة كما ييسر على الطلبة النجاح المطلوب وعند ذلك فان الاطارات العالية يمكن ارشادها منذ دخولها الجامعة الى سلوك أبواب التخصص وهم في مرحلة التكوين العام أو ما يشبهه وأن مكتبا للتوجيه العام الجامعي يمكنه القيام بهذا العمل بعد الوقوف على رغائب الاسرة وميول الطالب في اختيار مهنة ما على أساس الارشادات التي يقدمها التعليم الثانوي أو التعليم الاعدادي العالي ان كان هناك ما يدعو الى احداث مثل هذه المرحلة الانتقالية بين التعليمين الثانوي والعالي والى جانب ذلك فان الامتحانات الشفوية ووسائل الفحص النفسانية الفنية مع الفحص الطبي قد تعين على استكمال المعلومات السابقة بعد هذا يمكن احداث منح وقروض شرفية موقتة وعلى أسس استثنائية لتشجيع الطلبة على الاقبال نحو المهن المزهود فيها اذا مادعت الحاجة الى ذلك بعد استنفاد وسائل التنبيه والاغراء الافلاطونية

اذا ما تحقق هذان الشرطان الاساسيان : معرفة حاجيات البلاد وتوزيع الطلبة على أساس هذه الحاجيات أصبحت مهمة الجامعة التونسية أولا وبالذات تكوين الاطارات العليا للبلاد وفي هذا المضمار يكون من الصالح أن تختص الجامعة بمهمة التكوين الصناعي والمهني العالي في شتى الميادين ذلك انه يوجد بعض الاختلاف بين الجامعات في سياسة التكوين المهني يختص بذلك في البلدان الانكليزية اللغة الجامعات في معظم الاحوال فمدارس المهندسين ومدارس الفلاحة ومدارس الغابات تجاور في هذه البلدان كليات العلوم النظرية الصحيحة والعلوم الاجتماعية وكليات الآداب أو الطب الى جانب مدارس المناجم ومصائد السمك وما على وتيرتها

وفي بلدان أخرى الى جانب الجامعة يوجد معاهد مستقلة مهمتها الاساسية التكوين الصناعي أو المهني وهذا الاتجاه قبيل تأسيس الجامعة التونسية يوجد ما يدل عليه أو بل ما قد يجر اليه اذا لم يجمع شتات المعاهد التكوينية المستقلة التي منها المدرسة الوطنية للفلاحة التابعة لكتابة الدولة للفلاحة والمدرسة الوطنية الادارية التابعة لمصالح رئاسة الجمهورية وبديهي أن هذا التشتت

فى تكوين اطارات الامة الواحدة قد يعوق عن وحدة النظر ويكلف مصاريف اضافية غير ضرورية فقد يجر الى تعدد البناءات والتجهيز واستعمال الاساتذة والموظفين الاداريين أصبحت الدول الغنية الثرية تتجنبه قدر المستطاع وتقاوم فى سبيل اتحاد النظر والاقتصاد فىالوسائل عادات وان قدمت فهى مردودة وغير ذات موضوع

يجب أن يقال فى هذا الباب أن هذا الازدواج الذى أصبح فى بعض البلدان ضربا من الثانوية انما نشأ فى ظروف معروفة لم تكن فيها الاعتبارات البيداغوجية هى المقصودة بالذات وقد وجهت لهذا الازدواج انتقادات صائبة وهو لا محالة آيل الى الزوال فى البلدان التى أخذت تشعر شعورا قويا بحاجيات العصر المتنوعة الملحة التى من بينها ومن أوكدها فى نظرى توثيق العرى بصورة مستمرة بين ما يسمى بالثقافة العامة وما يسمى بالتكوين المهنى أو ان شئت قلت بين العلوم النظرية والعلوم التطبيقية

ومما يجدر التنبيه اليه أن التكوين المهنى لا يقف عند نيل شهادة ختم الدراسة بل يجب أن يشمل الاطارات العاملة المضطلعة بأعباء العمل فى شتى الميادين اذا ما شاءت أن تعود الى مقاعد الجامعة لتطلع على ما جد من اكتشافات وما حدث من طرائف مبتكرة تهم ميادين اختصاصية يتحتم ذلك على الجامعة لان تقدم العلوم وتقدم الاساليب الآلية جعل العودة الى الدراسة المنتظمة من حين لاخر أمرا ضروريا لمن أراد أن يماشى عصره وأن يسعى مع الساعين وهذه الوظيفة الجامعية التى تعرف بوظيفة التكوين المستمر يمكن أن تنظم كما يقع به العمل فى كثير من البلدان فى صورة دروس مسائية طويلة المدى أو فى فترات دراسية قصيرة تشمل بضعة أسابيع والجامعة تكون حينئذ قد قدمت خدمات جليلة للبلاد مع أنها تجمع بين الجامعيين وبين الرجال الذين يمارسون الواقع الحى وهو اتصال منبه لهؤلاء ولاولئك مصدر من مصادر التجدد الصحيح

اذا كانت وظيفة الجامعة الاولى هى تكوين الاطارات فان وظيفتها الثانية هى البحث العلمى للنهوض بالعلم وجلى أن الوظيفتين مترابطتان وأن مستوى كل منهما ينفعل فى الاخرى بدافع المماراة وحب الاكتمال ورغبة البحث والتنقيب ولكن البحوث الجامعية يمكن أن تنقسم فى ظاهر الامور على الاقل الى قسمين البحوث النظرية والبحوث التطبيقية وهما فى الحقيقة وان اختلفت أساليبهما فقد يتمم الواحد منهما الاخر وليس معنى ذلك أن الباحث يجب أن يفرض عليه موضوع بحثه فرضا ولكنى أعتقد أن طرائق تكوين الباحثين قد تقرب المسافة بين العلوم التطبيقية والعلوم النظرية أو على الاقل أحسن اختيارها قد تشجع هذه الامكانيات مجتمعة فى الباحث الواحد وترفع عنه الموانع النفسانية وتقرب المسافة بين التفكير المطلق والتفكير الصالح للعمل وان لكل بلاد حاجيات بعينها أوكد من حاجيات البلاد الاخرى وقد لايخلو من

فائدة أن يلتفت الباحثون الى التفكير فى حل مشاكل بلادهم وعلى هذا فقد يكون من الصالح أن توجد صلات فعلية ! لم تكن تأسيسية بين معاهد البحوث الجامعية وبين معاهد البحوث الحكومية أو المشاريع الخاصة ولعل من صالح الجامعة ومن صالح هذه المؤسسات الاخرى أن يقع هذا الاحتكاك وهذا التبادل وهذا التلاقح الذى بدا ينتشر شيئا فشيئا فى مختلف البلدان المتقدمة

من الناحية النظامية داخل الجامعة فان معاهد البحوث يجب أن تسند الى الاستاذ الرئيسى فى كل فن من فنون البحث ويتألف مجلس عام للبحوث يقوم بمهمة التنسيق بين جهود الجامعة فى ميدان البحوث

بقيت مسألة البرامج وأساليب التعليم الجامعى . لم تكن هذه المسألة لتتشعب لولا تطور العلوم فى العقود الاخيرة بالخصوص تطورا جعل الاغراق فى التخصص أمرا ضروريا بالنسبة للتكوين المهنى والبحوث الجامعية على حد السواء ونتج عن ذلك مايشبه التشتت والانحلال والتفتت فى أمهات العلوم كانت نتيجته شدة انحصار رقعة المعارف وانفصال وشائج القربى بين المعارف الواحدة وتشعب الفروع بالنسبة للاصول وأظهرت التجربة خطر هذا التفكك وأصبح الجامعيون يتساءلون عن مثال التكوين الجامعى بعد ان اتجه به هذا الاتجاه الصارم التقدم العلمىوالفنى من ناحية مع احراج تطوروسائل العمل والانتاج من ناحية أخرى وبعد الاندفاع وراء التوغل فى المعلومات الخصوصية أصبح التكوين الفكرى والثقافة العقلية مرغوبا فيهما الى حد بعيد بالنسبة للتكوين المهنى أو البحوث الجامعية وليس من اليسير حل هذه المشكلة لما يتجاذبها من مقتضيات لهذا العصر صارمة ومتناقضة فى الوقت نفسه وعلى كل فاذا كان مبدأ التكوين العام قبل التخصص أمرا مسلما على العموم فان الصعوبة تظهر عند تحديد نسبة التكوين العام من التخصص ومدة كل منهما وهل يمكن حل هذه المشكلة باعتبار درجات مختلفة فى مراحل التكوين العام مثلا بين ما يسمى بالاطارات العالية المختصة بالتدبير وبين الاطارات العالية المختصة بالتنفيذ (كالفرق بين المهندس والفنى مثلا) أم هل يجب التوسع فى الابواب المشتركة فى مرحلة التكوين العام على أن تكون قليلة وأن تشمل أكبر عدد ممكن من فنون الاختصاص .

ومهما يكن من أمر وان كانت طرق التدريس والتعليم رهينة الاهداف المقصودة فان مشاركة الطلبة الفعلية أمر ضرورى لتكوين عقلى حقيقى فضلا عن كونها تساعد على سهولة الاستفادة من مادة التعليم وعلى ذلك فان الدروس التطبيقية وأندية المناقشة وندوات البحوث يجب أن تكون محلا واضحا فسيحا فى برامج التعليم الجامعى على أن تنظم لعدد قليل من الطلبة توفيرا للصلات الوثيقة بين الاساتذة والطلاب وليس معنى ذلك أن الدرس الجامع يلقيه الاستاذ من أعلى المنصة رغم ما وجه من انتقاد يجب أن ينتقص لما له من

فضل فى اثارة تفكير التلامذة لايعادله انكباب الطالب وان كان موهوبا على كتاب المراجعة وحده وطريقة المسائل يمكن أن تفيد فى نطاق جلسات المناقشة ولكنها لا تكفى وحدها كطريقة عرض شاملة لمسائل الدرس لا أظن أن الجواب ينجر حتما عن هذه الملاحظات الا أنها تحدد الموضوع وهو جدير بالمراجعة ومزيد البحث

الجامعـــة والثقافـــة

الجامعـــة تكون الاطارات العليا وهى مركز ممتاز للبحوث الجامعيـة وهى الى ذلك ومن أجل ذلك مصدر اشعاع ثقافى ضرورى والثقافة تزدهر مـع الحرية وفى كثير من الاحيان تنشأ وتترعرع بعد كفاح هين أو شديد المعنى هذا أن الجـامعة لا بد من أن تصارع الوسط الاجتماعى وفى اجماعه الضغط الشديد وقد يبدر من طلبة الجامعة أنفسهـم وان تكـون الجامعـة تابعـة فى استسلام لرأى الجماعة وان كان مخطئا بين الخنوع القاتل للتفكير وبين مهالك الخلاف والتنطع طريق وسط أساسه الاخلاص للعلم والحقيقة بيـد أن هـذا الاختيار الخطير الجامعة فى غنى عنه اذا كانت فى محيط ديموقراطى صميم ذلك أن الديموقراطية تفـرض ضربا من اللا مركزية فى ممـارسـة السلطـة فـى مختلف ميادين النشاط الاجتماعى وتستعيض عن نظام السلط الصارم فى غير النظام الديمقراطى بنظم تعاونية ومن ثم يصير مركز الجامعة فى الوسط الديمقراطى أقل توترا وحدة وتصير ممارسة الحرية فى القول والفكر أمـرا طبيعيا وفى الوقت نفسه فـان امتداد عروق الجامعة فى تربـة محيطها يجعلها أوفر اتصالا بالمجتمع وأشد ترابطا به وأبعد من أن تنعزل عنه ببروج عاجيـة وهمية والثقافة ايمان وتنبه للآتى وحدة عقـل وقلب وضمير جد بعيـدة عن الرضى الهين والاطمئنان الرخيص وليس ذلك بالامر الهين مهما كان القطر ومهما اختلفت العـادات ومهما تباعدت الحضارات ومما يزيد مشكلة الثقـافة تعقدا والتواء أن سرعة التطور الاجتماعى فى هذا العصر خاصة وهجوم الآلات على الحياة اليومية ليس مما يساعد على ازدهار الشخصية البشرية وعلى توازن مواعبها الاصلية هذا فى البـلدان الراقية والنـاقصة النمو على السـواء وفى هـذه الاخيرة وبموجب التطور الواقع الـذى لا ريب فيه يحصل انهيار النظام الاجتماعى والاقتصادى التقـليدى ويجرف هـذا الانهيار فى معظم الاحـوال القيم الثقافية التقليدية وللجامعة فى هذه البلدان خاصة الى جانب وظيفتهـا الثقافية العامة أن تحيى هذا التراث الثقافى التقليدى وأن تظهر للناس عناصر البقاء فيه وأن تجعل منها غذاء للعقول والنفوس فى ميادين العقائد والتفكير والآداب والفنون ولكن العلوم الاجتماعية والانسانية بوجه عام التى يجب أن تنهض بهذا العبء ازاء القيم الثقافية التقليدية أو الحديثة ازاء القيم الثقافية قومية كانت أو أجنبية تطورت منذ عقود تطورا قربها الى العلوم الصحيحة وأبعدها بعدا خطيرا عن غايتها الانسانية البحتة فجنحت الى طرائق التحليل

القائم على الكمية شأن العلوم الرياضية أو الطبيعية وزهدت شيئا فشيئا فى طرائق البحث الذوقية التى تغذت بألبانها قلوب البشرية وضمائرها من أقدم العصور الى هذا اليوم وهذا التحول الواضح فى طرق تناول البحوث الانسانية قد قطع بهذه العلوم أشواطا لاتنكر وجعل من العسير تجنب هذه الوسائل الناجعة الا أن واجب الامانة الفكرية يدعو الى الشك فى أن هذه الدراسات متى استمرت على هذه الاساليب وانحصرت فيها قد يكون لها تأثير عميق فى ميادين المعاني الروحية والادبية والفنية

واذا فرضنا أن المجهودات المبذولة لاصلاح وتعديل أساليب دراسة العلوم للبشرية بوجه عام ستحقق لهذه العلوم غاياتها التربوية المنشودة فانه يبقى علينا أن نعنى بشروط ازدهار الثقافة الشاملة التى تتجاوز الثقافة الموروثة أو الثقافة القومية الحديثة الى ثقافات الامم الاجنبية والحضارات الغربية . ان تلاقح الحضارات انما يقع فى معظم الاحيان وعلى مر العصور بمناسبة تطاحن الشعوب وامتزاجها امتزاجا عنيفا وكثيرا ما أخصب هذا التلاقح الشديد والحضارة العربية الاسلامية خير مثال على خصوبة هذا التلاقح وأعجب ما فى الامران مما يساعد على تفهم الحضارات الاجنبية ومما يجعل هذا المجهود مثمرا أن ينبنى هذا التلاقح على الفحص الجرىء النزيه الصادق للحضارة القومية أولا وبالذات وان الامة التى تحلل حضارتها القومية فتحكم عليها وتنتخب منها أقرب الامم الى اتساع الصدر لتقبل الحضارات الاخرى وتذوقها والاستمداد منها والانتفاع بها وهذا الفحص المثمر انما يقوم به المؤرخون وعلماء الاخلاق وعلماء الاجتماع وعباقرة الادب وعلى هذا الاساس اضطلعت الجامعة فى مختلف الامم بتوسيع رقعة الثقافة والى ذلك يعزى فى البلدان الغربية تقدم الدراسات اليونانية واللاتينية والدراسات الفرعونية والدراسات الاسياوية ودراسات الاستشراق الى آخره وبفضل هذا التوسع تتكون مع الانتشار وسعة المعلومات الدراسات الجامعة كتاريخ الاديان وتاريخ العلوم الصحيحة وتاريخ النظريات الفلسفية وتاريخ الفنون والادب المقارن وتاريخ الموسيقى الى آخره وليس من شك فى أن دراسة اللغات الاجنبية تضاف الى هذه القائمة الطويلة لتوسيع رقعة الثقافة وتغذية النفس البشرية بمختلف الاغذية الذوقية والروحية والعلمية ولا مانع من أن يشمل الاشعاع الثقافى الجامعى الامة جمعاء ما لم يتصادم مع رواسب التعصب التى تغذيها المدرسة ووسائل النشر والوان الدعاية باللسان أو بالقلم

نعود الى البلاد الناقصة النمو حيث المشكلة تختلف بعض الاختلاف عن مشاكل الامم المتقدمة ذلك أن البلاد الناقصة النمو تبذل عادة جهودا متظافرة لتقبل الحضارة الحديثة والانتفاع بها وليس من شك أن هذا السلوك عنصر فعال من عناصر الرقى بل عنصر أساسى للازدهار الاقتصادى الذى لاسبيل بدونه الى العزة والعدل الاجتماعى والكرامة البشرية غير أن هذه الجهود

للتطوّر والـلاتحـاق بقـافـلة الامـم المتقـدمة وان كـانت ضرورية وان كـانت حيـوية فهى لا تخـلو من أخطـار منـها تطـور انقـلابـى فـى العادات والاخلاق يقع أحيانا بدون مقابل ومنها بخس القيم الروحية والثقافية الموروثة حقها ومنها انحطاط الذوق الفنى بالنسبة للتراث المجيد الموروث الى غير ذلك من ألوان التحول السريع وما يجره من طفرة ليست صالحة فـى جميع مظاهرهـــا

وا نالتماسك المنشود والنهضة المنشودة والاصلاح المنشود شأن كل ما يتعلق بالتربية والثقافة والحضارة انما تتطلب وقتا كما تتطلب جهودا متصلة خصوصا والحضـارة الحديثة تقـدم للانسانية مظاهر مادية متشابهة فى عالم زالت منه الابعاد وشمله التشابه السطحى الرخيص يضـاف الى ذلك مــا للحضارة الحديثة من وسائل ضغط جبارة فى أبواب الدعايـة والنشر وان الجامعة اذا ما تلافت تقلص ظل العناصر الجديرة بالبقاء مـن كـل حضـارة موروثة أو بصدد التكوين فانها تكون قد وفرت عـلى الانسانيـة بازدهـــار الثقـافات المتعددة والمتممـة لبعضها بعضا فى الوقت نفسه مـا يجعـل منها مصادر خصبة للاغتراب المعنوى المثمر والتفكير الحر والانعاش الروحـــى ولا شك أن لعلوم الاجتماع والدراسات المقارنة الدور الفعال الى جانب الاداب الاجنبية فى تحقيق هذه الامنية ٠

الحياة داخل الجامعة شعارها التعـــاون

ان التعـــاون بين الادارة والاساتذة والطلبة ينسجم مع أجـواء الحيـاة الديمقراطية فى الامة ويعين على تذليل العقبات ويكون طريقة مثلى لتدريب الطلبة على الاضطلاع بالمسؤوليات التى تنتظرهم بعـد خروجهم من الجـامعـة وأن نظـام الجـامعات الانكلوسكسونية حيث يشمـل الحى الجـامعى سكنـى الاساتذة والطلبة والمسؤولين عن الجامعة بوجه عام لمما يوفـر الاتصـــالات المستمرة التى هى عنصر فعال فى تدعيم هذا الجو التعاونى المثمر

وان جامعة متحفزة لتفهم ما يطلبه المجتمع من حولها تعيش عـلى أساس التعاون كما ذكر لابد لها من أن تساهم بطبيعة حالها فى الحركات التعاونية الجـامعية العـالمية وذلـك بتبادل الطلاب والاساتذة لا لاسباب ترتيبية بـل لاعتبارات ثقافية وتربوية بحتة ٠

مشكلـــة اللغة فى الجامعـــة

مرجـــــع هذه المسألة فى بعض الاحيان الى مدى تطور اللغة الوطنية المعنية بالـذات فى حد ذاتهـا وهو مشكل اللغـات التى لم تكـن أداة لنشر الحضارة فى عصر من العصور وليس هذا مشكل اللغة العربية ولا هو يواجه بهذا الاعتبار الجامعات فى البلدان العربية ذلك أن اللغة العربية بقيت طيلة

قرون عديدة أداة للحضارة العالمية في شتى فنون المعرفة والتفكير ولا داعي للتذكير بأن الجامعات الغربية الناشئة قد أقامت تعليمها العالي في الميادين العلمية والفلسفية على ما نقل الى اللاتينية من التاليف العربية وخصال اللغة العربية من هذا الوجه معترف بها على العموم ولا نزاع فيها ولا تزال اللغة العربية في الجامعة الزيتونية بتونس وجامعة القرويين بفاس وجامعة الازهر بالقاهرة أداة صالحة لنشر التراث الثقافي العربي في فنون عديدة بيد أن الجامعات الحديثة في البلاد العربية تلجأ في معظم الاحيان بالنسبة لبعض الفنون الى لغة أجنبية عالمية كالانكليزية والفرنسية كاداة للتدريس الجامعي خاصة في المواد العلمية والفنية والسبب في ذلك يرجع الى التفاوت بين التقدم العلمي والفني في العالم وبين أهمية الانتاج العلمي والفني في اللغة العربية ومن هنا كانت معرفة لغة أجنبية عالمية أمرا ضروريا بالنسبة للاستاذ لحاجيات تدريسه وبالنسبة للطالب لحاجيات دراساته الشخصية ومن ثم أصبح للتدريس في هذه الابواب العلمية والفنية أخصر طريق للوصول الى الغاية وأملنا أن تستكمل المكتبة العربية في أمد قريب حاجيات الدراسة والتدريس في جميع ميادين المعرفة والتفكير .



الاستاذ ميخايل جولاني
يلقي كلمته في مجلس الافتتاح

اصلاح التعليم بتونس

بقلم احمد الغاني

كـــان النظام المدرسي والجامعي فى عهد الاستعمار بتونس غير موحد وغير منسجم مع الواقع القــومى ولا مع ما يقتضيه التطـور الاقتصادى والاجتماعى الناشىء عن تقدم العلوم والفنون وعن انتشارها العظيم فى العالم ٠

وبالرغم من تنوع الدراسات التى كانت تعطى فى مختلف المعــاهد ومختلف الدرجات من ابتدائى وثانوى وعالى ، وبالرغم من تعدد أصنافها كان هذا النظام ينتج نوعين متباينين من الثقافة وطرق التفكير :

1 ـ النوع القديم الناتج عن التعليم التقليدى بالكتاتيب وبالمعاهد الزيتونية التى كانت محافظة على برامجها العتيقة بالرغم من التحويرات الخفيفة التى أدخلت عليها

2 ـ النوع العصرى النــاتج عن تعـليم دخيــل تنفقــه مدارس فرنسية ، مدرسوها فرنسيون وبرامجها وطرقها منقولة من فرنسا الى بلادنــا بدون ملاءمة مع واقعنا

وطالما استغل عهد الحماية لفائدته التضادد الذى تولد طبعا عن اختلاف هذين النوعــين من المثقفــين ٠

فكان خريجو الجــامعة الفرنسية يتألمون من عتاقة نظام بلادهم الاجتمــاعى ويشعرون بشىء من الاستئصال من وسطهم الطبيعى ٠ وكانوا يحتلمون بتطور بلادهم نحو الرقى ورفاهية الحياة العصرية ٠

وكانت تثور أنفسهم غضبا على مواطنيهم الزيتونيين وعــلى تقليدهم الاعمى لنظم الاســـــلاف ٠

وكان الزيتونيون بدورهم ينكــرون عليهم تفرنسهم وكفرهم بعوائــدهم وعقائــــــدهم ٠

وبالرغم من الاتصال وتبادل الآراء ، وبالرغم من محاولات كلا الطرفين فى شىء من الاستقاء من مشرب الآخر ، كان هذان الصنفان من أهل الثقافة ثابتين فى

اصرارهما على التضاد والتناطح ، وبقيت سلمهما للقيم البشرية متخالفة كل التخالف وكان الشق الاول يوجه أنظاره الى العالم الغربي وينادي بالالتحاق به في عدوته وراء الرفاهية المادية • وكان الشق الثاني يطمح في احياء سلف ماجد واحياء حضارته البديعة المرتكزة على قيم أخلاقية وروحانية •

ومن ذلك فالبلاد التونسية عند ما فازت باستقلالها وجدت نفسها في حاجة أكيدة الى العمل على تحرير تعليمها ، وقد اتخذ الموكلون على أمر هذا التحرير ثلاثة أهداف سياسية وهي :

1 ـ انجاز هيكل جامعي موحد ، منتظم ، منسجم في آن واحد مع الواقع التونسي ومع مقتضيات الحياة العصرية

2 ـ الاسراع في انتشار التربية القومية انتشارا أفقيا ورأسيا ، وبالتالي رفع المستوى الثقافي للامة وترضية حاجياتها في الميادين الاجتماعية والاقتصادية والفنية

3 ـ منح البلاد حكما مدرسيا وجامعيا يضبط الهيكل الجديد في جملته وفي أجزائه •

أما الهدف الاول فتحقيقه يتوقف أولا على تعيين مذهب تعليمي وعلى توجيه كل صنف من التعليم ـ ويتوقف ثانيا على ضبط مستوى الدراسات ومدتها في جميع الدرجات ، وعلى ترسيم توصيات عامة توضع بمقتضاها البرامج •

وقد وضعت هذه البرامج بحيث يرفع مستوى التعليم الى أرقى درجة ويكون موافقا :

أ) الى تنوع المؤهلات والميول الفردية ،

ب) الى الواقع الحالي للبلاد والى حاجاته في تكوين الاطارات المختلفة نوعا ودرجة (اطارات الادراك والادارة والمراقبة والتنفيذ)•

فكان من اللازم تأميم التعليم من جديد وذلك بارجاع اللغة القومية (العربية) الى مكانتها الشرعية ، وبتمكين الطفل من دراسة الوسط الطبيعي والاجتماعي الذي يعيش فيه وينمو ، كي يتعلم معرفته ويتعود حبه • ان هذا التوفيق مع واقع الطفل أساسي لمستوى الدرجة الابتدائية ، وذلك حتى من الوجهة البيداغوجية الصرفة • فتاريخ فرنسا القديم ، ودراسة الكوم الجليدية ، ورقائق لغة « لافونتين » أو « موليير » ، وخصائص النبات والحيوان بفرنسا ••• كل ذلك لا ايقاع له في احساس الطفل التونسي ولا يصلح لتكوينه •

وهذا التوفيق لازم أيضا فى مستوى التعليم الثانوى اذ الطفل يقطع اذ ذاك مرحلة من حياته يصير فيها شابا بعد ما كان صبيا ، ويتكون فيها كفرد وكعضو وحدة اجتماعية فى الكتلة القومية ٠

ومن اللائق أن نلاحظ أن هذا الاتفاق مع الواقع الطبيعى ليس منافيا قط لفتح منافذ على العالم الخارجي ولا الى تطبيق تجارب الآخرين فى ميدان البيداغوجية العامة والتربية ٠ فلا نريد الا التحرى من عقم وخطورة التقليد ونقل نظام تربوى أجنبى لا يراعى وجودنا الذاتى ولا طموحنا الغريزى ٠

وأما الوصول الى الهدف الثانى الذى يرمى اليه تحوير التعليم ، فهو يقتضى منح كل طفل قسطه الادنى من التربية والمعرفة ، الذى هو حق من حقوقه ، حتى يصير التعلم فى متناول كل أحد بعد ما كان نعمة تتمتع بها أقلية من الامة ٠ ويقتضى أيضا واجب تشجيع اندفاع الاطفال الى مواصلة تعلمهم بعد الابتدائى ، اذ هذا الاندفاع هو نتيجة التطور الاقتصادى والاجتماعى فى العالم ٠

لذلك وضعت الحكومة التونسية أسسا هامة لتصميم انتشار التعليم فى جميع درجاته وذلك بمقتضى ما لديها من الوسائل ٠

فوضعت برنامجا لايواء التلامذة فى المدارس الابتدائية ، تراعى فيه الحالة الراهنة ونمو عدد السكان فى كل سنة ٠

أما بالنسبة للتعليم الثانوى فبرنامج التنمية والبناء هو الآن فى حيز الدراسة النهائية ٠

وأما بالنسبة للتعليم العالى فالحكومة عازمة على انشاء جامعة تونسية فى القريب العاجل ، حتى يتسنى للبلاد أن تكون الاطارات التى تعوزها الآن ٠

لا شك أن مشاكل عدة تعترضنا عند انجاز هذه البرامج ومن هذه المشاكل ينبغى أن نذكر أهمها اذ هو يشغل بالنا أكثر من غيره فى الوقت الحاضر ، أعنى مشكل انتداب ما يلزمنا من المدرسين الاكفاء ٠

لا يخفى على أحد أنه ليس من اللائق أن نبقى فى حاجة الى الغير فيما يتعلق بالانتداب الاساسى ، خاصة بالنسبة للابتدائى والثانوى ، اذ ينجر عن هذا الانتداب ــ خصوصا اذا تعمم ــ :

أ) الرضا بتضحيات مالية كافية لجذب المترشحين ودفعهم على قبول الخطط ،

ب) الرضا بحدود لاستقلال التربية القومية خاصة ولاستقلال البلاد عامة وذلك لان هذا الانتداب أمر حتمى وحيوى ٠

ج) الرضا بعدم الضمان بحسن النتيجة ، اذ الموظفون الاجانب لا يشعرون دائما بواقع مشاكلنا ولا بما نحتاج اليه بل يكتفون عادة بتطبيق ما عودهم عليه تكوينهم ٠ ومن جهة أخرى فالذين يرضون بمغادرة وطنهم ليسوا دائما من العناصر الممتازة ، وكانت تجاربنا فى السنوات الاخيرة مخيبة من عدة أوجه ٠

ان انتداب المدرسين الاجانب أمر حسن فى ذاته ، اذا كان وسيلة لتكميل ما يوجد بالبلاد ، واذا كان مما يمكن الاستغناء عنه ، لا من الشروط الاساسية التى يتوقف عليها النشاط المدرسى والجامعى ٠

ومن جهة أخرى فانتداب الاجانب لا يستحسن عادة الا فى التعليم العالى ٠ فالاختصاصيون الذين امتدت معارفهم فى ميدان لا يمكنهم السفر الى بلدان أخرى ليدرسوا ويفيدوا بمعارفهم الطلبة والمفتشين ٠

فيتحتم علينا أن نفكر فى تكوين ما يلزمنا من المعلمين والاساتذة لكل من التعليمين الابتدائى والثانوى ، وبالتالى أن نشرع فى انشاء جامعتنا وأن نعمل على تنميتها ٠ وهناك مظهر من المظاهر الرائعة للصلة بين الجامعة والمجتمع ٠ فالمجتمع التونسى فى حاجة ملحة الى الاطارات فى ميدان التعليم والاقتصاد وسيبذل أقصى جهد فى ترقية جامعته الفتية الى درجات الازدهار العالية ٠ لكن هذه الجامعة ، التى ترمى مثل كل جامعة الى التنمية الحرة ، هل ستقبل دائما الرضوخ الى مقتضيات المجتمع ؟

الى المشتركين :

الاشتراكات يرسل معلومها فى حوالة بريدية باسم المجلة بعنوانها : (ص٠ ب٠ 556 تونس) أو يصب فى حسابها الجارى : (الفكر 69-337 تونس)

المرغوب من السادة المشتركين أن يسددوا معلوم اشتراكهم حتى لا يتعثر المشروع فى طريقه الى التقدم وخدمة الآداب العربية

دور الجامعات في العالم العربي

بقلم سيسل حوراني

تقسم الجامعات التي توجد الآن في العالم العربي الى ثلاثة أنواع : الجامعات التقليدية التي تعنى أشد العناية بتعليم الدين الاسلامي والفقه ، والجامعات العصرية التي تؤلف جزء من **الانظمة التربوية** القومية للبلدان العربية ، والجامعات الاجنبية التي تمول من الخارج ويشغل الاساتذة الاجانب بعض كراسي التدريس فيها • وأهم الجامعات من النوع الاول ، تلك التي كانت توجد في تونس وفاس والقاهرة • وتعتبر جامعات القاهرة وجامعة دمشق وجامعة بغداد أمثلة عن النوع الثاني ، وأما النوع الثالث فيوجد ما يمثله في بيروت • ولذلك كان الطالب العربي يتسنى له الاختيار بين معهد وآخر • وأما مستقبل هذه الجامعات واضافة جامعات أخرى الى الموجودة منها فهو أمر يجب أن يدرس على ضوء حاجات العالم العربي.

ان العرب كغيرهم من شعوب العالم الاخرى يحتاجون الى الحقيقة والضوء • ولذلك فان السعي وراء الحقيقة والضوء في أي بلد وجدتا أو على أي شكل كانتا ، هذا الهدف المفرد الوحيد الذي يوجد بين جميع الجامعات العربية • ولكن ضمن نطاق هذا السعي يوجد متسع لتنوع الوسائل والتشديد على موضوع دون آخر • ولذلك فان تقسيم الاعمال بين مختلف أنواع الجامعات العربية يجب أن يكون قائما وأن يظل موجودا في المستقبل • والمهم هو أن يقوم كل معهد بدور يلائم طبيعته وأن يساهم الى أقصى حد فعال في تحقيق الهدف المشترك •

والشرط الضروري للسعي وراء الحقيقة هو توفر الحرية • ولضمان هذا الشرط لا يكفي أن نوطد أركان بعض مؤسسات سياسية معينة تتمشى مع المثل الاعلى الغربي للحكومة النيابية الديموقراطية لان المجتمعات التي تقوم بها هذه المؤسسات السياسية يجب أن تكون نفسها حرة متحررة • ويجب أن يكون هناك في المجتمع العربي عنصر الحرية الفكرية واحترام الشخصية الانسانية

والسرور والمتعة اللذين يشعر بهما الانسان عند التفكير الحر والبحث الحر وهي أمور ان وجدت فان روح الانسان تزدهر وتحقق أمانيه الفكرية ٠

وللجامعات العربية غرض مشترك ألا وهو أن تقوم بدور المراكز الناشطة الفعالة للحرية في المجتمعات التي تخدمها ٠ وفي هذا الميدان فان لكل نوع من الجامعات دورا خاصا به يتميز عن غيره ٠ وقد أصبحت الجامعات التقليدية في العالم العربي لا تنظر اليها نظرة احترام لانها أصبحت مراكز لتعليم الافكار المحافظة الرجعية المتعلقة بالشكليات أكثر من الجوهر ٠ ولكن هذه النظرة يجب أن لا تحجب عن أعيننا ذلك الدور العظيم الذي كانت وما تزال تقوم به ليس في ميدان المحافظة على تقاليد اللغة العربية فحسب بل وفي ميدان المحافظة على الفكر العربي ضمن نطاق المنطق الارسطالي بفضل دراسة اللغة العربية والدين الاسلامي والتشريع الاسلامي ٠ وقلما نال هذا الدور حقه من التقدير اللائق به ، وحتى من العرب أنفسهم الذين طالما سمحوا لانفسهم بارتكاب خطأ الاعتقاد بأن الفكر العربي الاسلامي يختلف من ناحية أساسية عن الفكر الاوروبي الغربي ٠

ولذلك يجب أن تظل الجامعات التقليدية تقوم بدورها كحماة للغة العربية ومراكز للتفكير الديني ٠ ولكن ، اذا لم تكن اللغة العربية نفسها قائمة على خدمة معقولة ، حية حرة واسعة الخيال ، فانها ستظل جامدة ، كما أن تطور الافكار والسعي وراء الحقيقة سيقعان في مكان آخر ولربما خارج نطاق اللغة العربية تماما ٠ وهذا يعني أنه يجب أن يعاد النظر في مناهج الجامعات التقليدية وطرق التعليم فيها ٠ ومع أنه ليس من الضروري أو ليس من المرغوب فيه ، التخلي عن فكرة التعليم المبني حول الدين ، فان الافكار الدينية نفسها يجب أن يعاد النظر فيها بصورة مستمرة ٠ وليس في دين الاسلام ما يمنع اعادة النظر هذه أو التفكير بالمعتقدات الدينية من جديد وليس صحيحا أن الاسلام دائم جامد لا يتحرك ٠ وما حدث فعلا هو أن تطور الفكر الاسلامي والمبادىء الاسلامية قد وقع خارج نطاق الجامعات التقليدية ٠ وهكذا أصبحت هذه الجامعات معزولة عن المجتمعات التي توجد بين ظهرانيها ٠ ولذلك يجب أن تعاد هذه الجامعات الى حظيرة الاتصال مع وقائع الوضع المحيط بها وأن تخرق حاجز التقاليد الذي جعل منها معاقل للرجعية الفكرية والسياسية ٠

وأما دور الجامعات الوطنية الحكومية فهي أن تجعل ممكنا وجود أنظمة قومية للتعليم ، فليس من الممكن أن تقوم أنظمة المدارس الابتدائية والمدارس الثانوية بدورها كاملا دون أن يكون هناك الى جانبها مراكز للتعليم

العالى ضمن نفس الاطار الاجتماعى والسياسى • وهكـذا فان ظهور البـلدان العربية كدول مستقلة تجعل من الضروريات المحتـومة انشاء جامعـات وطنية حكومية • والمهمة الرئيسية لهـذه المعاهد هى توفير وسائـل توسيع المرافـق التربوية وهو أمر يرافق الاستقلال الوطنى • وهذا يعنى من ناحيـة رئيسية انشاء اطارات كبيرة للمعلمين لسد متطلبات العدد المتزايد لطلاب المدارس فى البـــلدان العـربيـة •

ولانجاز هذه المهمة ، يجب أن تكون هناك برامج لتدريب الاساتذة ضمن نطاق الجامعات الوطنية الحكومية والجامعات الاجنبية خدمة لمصلحـة النظم التربـوية القومية وهى برامج ضرورية ولكنها غير كافية بحد ذاتها • ان الحاجة القصوى تدعو لوجود مستوى مرضى للتعليم العالى • فمستوى كفاءة المعـلم لا يمكن أن يكون أعلى من المستويات الموضوعة للتعليم العالى • ولتتمكن الجامعات الوطنية الحكومية من القيام بدورها كاملا فيجب أن لا تكون مجرد آلات لتوليد المعلمين ، بل يجب أن تكون أيضا مراكز للابحاث والافكار الحية والحيوية • كما أن وضع النظم القومية للتعليم لا يعنى مجرد اقامة بنيان من أسفله ، بـل يجب بنـاء الاطارات العليا فى نفس الوقت • ويجب أن ندرك على أى حال أنه ستمضى بضع سنين تظل فيها مرافق الجامعات الوطنية الحكومية غـير كافية على الارجح لسد متطلبات النظام القومى التربوى • ومثال ذلك أنه فى كامل شمال افريقيا الذى يبلغ عدد سكانه ما يقرب من ثلاثين مليون نسمة لا توجد جامعة حكومية كاملة ، هذا مع العلم بأن مراكش قد خطت الخطوات الاولى نحو هذا السبيل ، كما أن تونس ستخطو مثل هذه الخطوات قريبا •

وحقيقة أخرى يجب أن ندركهـا وهى أنه لسنوات عديدة ستظل الجامعـات الوطنية الحكومية خاضعة لضغط من الحكومات التى تدعمها ماديا يتطلب منـها التضحية بالمستويات لمصلحة الاعداد • ومع أنه يمكـن بل يجب مقـاومة هذا الضغط الى حد معين • فيجب أن لا يغيب عن بالنا أن الضغط موجود ، ليس من جانب الحكومات فحسب بل ومن الاوضاع التى تحاول هذه الحكومات معالجتها • ولذلك يجب أن تضحى الجامعات ببعض التضحية بالمستويات لمصلحة الاعداد • والمهم أن نعـلم ما هى التضحيات الضرورية وأين يجب أن تقـع • يجب أن لا تضحى الجامعات أبدا فى تمسكها بالحقيقة وحرية التفكير أو فى تحررها من أن تكون أداة سياسية أو موضع تدخل بروقراطى •

وحقيقـة أخرى يجب أن ندركهـا أيضا وهى أن الجامعات العـربية ستظل عـددا من السنين القادمة ترسل عددا كبـيرا من الطلاب للخارج الى المعـاهد الاجنبية للتحصل على تعليم عال • وهذه الحقيقة هى ظاهرة من مظاهر الحيـاة التربوية للدول العربية المستقلة استقلالا فعليا • وهذه الحقيقة لا تجعل من غير الضرورى انشاء الجامعات الوطنية الحكومية بل انهـا تتمم عمل هـذه الجامعات

وتقـدم وسيلة لتوسيع نطاق المرافق التربوية الى مـا وراء الموارد المحـدودة المتـــوفـرة ٠

وأما دور الجامعات الاجنبية فى العـالم العربى ــ ولا يوجد منها الا اثنتـان كلتاهما ببـيروت ــ فهو دور مزدوج ٠ فهى أولا تكمل أنظمة التعليم الحكومية وتوفر مرافق لا تتوفر فى الجامعات الحكومية ، وثانيا توفر مكان اجتماع داخل العالم العربى للتعليم والثقافة الانقلوسكسونية والافريقية من ناحية وللتربية وللثقافة العربية من ناحية أخرى ٠ ومع أنـه ليس من المرجح أن لا تؤســس جامعات أجنبية فى العالم العربى فان فى وسع الجامعتين الموجودتين القيام بدور حيوى ، وذلك بأن تكون أداة تشجيع وتحدى للجامعات الوطنية الحكومية التى تتعرض دائما الى خطر هبوط مستوياتها والعيش فى فراغ فكرى ٠

ان هدف المساعى التربوية العربية هو تمكين البلدان العربية من وضع نظام تربوى كامل يطبق باستعمال اللغة العربية ٠ وهذا لا يعنى مجرد ترجمة الكتب المدرسية الى اللغة العربية ووضع مصطلحات علمية باللغة العربية لتتماشى هذه مع العلوم الحديثة بل هى تعنى أيضا احياء اللغة العربية مع مرور الزمن كلغة وكوسيلة يمكن بواسطتها اجراء بحوث علمية مبتدعة أصيلة وتفكـير مبدع ٠ وتعنى تبعا لهذا احيـاء العقل العربى ٠ وهذا الاحيـاء لا يمكن أن يقـع دون الاتصال مع المصادر غير العربية للحياة الفكرية ٠ واذا تجمد الفكـر العـربى وتطلع الى المـاضى دون الحاضر والمستقبل واستقر من نفسه دون غـيره واتسم بطابع المغالاة فى التعصب القومى بأن يصبح أكثر عمقا مما هو عليه الآن ٠

وهناك حاجة الى نوع رابع من الجامعات ، اذا أردنا للعقل العربى أن يزدهر ازدهارا كاملا ويؤتى ثمارا يانعة ، فهناك متسع لجامعة واحدة على أقـل تقدير تكون « حرة » الى أقصى حد من حدود معنى هذه الكلمة ٠ ويجب أن تشاد هذه الجامعات من تبرع الافراد الخيرين ، بحيث لا تكـون مدينة من ناحية أدبية أو مالية لاحد ٠ كما أنها يجب أن تكون حرة من قيود التقاليد والحاجات العملية ٠ ويجب أن تكون حرة بحيث يتمكن أعضاؤها من تتبع دراسة الحقيقة سواء أكانت هذه تنفع من ناحية عملية أم لا ٠ ان مثل هذه الجامعة توفر جوا من الحرية يمكن العقل العربى من أن يصوغ نفسه من جديد حسب نموذج خاص به يكون عربيا حقـا ولكنه فى نفس الوقت عالميا ٠ وفى هذه الجامعة الحـرة ستبعث الانسانية العربية التى يكون صميمها فكرة الانسان العـربى ، عربى فى الاشكـال التى يعبر بهـا عن نفسه وعالمى فى اكتشاف وتفسير الحقيقـة التى يشرحها ببلاغـة ووضـــــوح ٪

مستقبل الجامعات الاجنبية في الشرق الادنى

بقلم البرت حوراني

يوجد فى الشرق الاوسط ما يتراوح بين عشرين الى ثلاثين جامعة أو كلية من مستوى متشابه ، ونصف هذه الجامعات تشرف عليها هيئات من خارج منطقة الشرق الاوسط . ومن ضمن الجامعات الاجنبية فى الشرق الاوسط جامعتان يوسوعيتان وهما : جامعة سانت جوزيف الفرنسية ببيروت وجامعة الحكمة الامريكية فى بغداد وهى حديثة العهد . وثمة عدد من الكليات التى أسستها البعثات البروتستنتية الامريكية (الجامعات الامريكية فى بيروت والقاهرة وكلية روبرت فى استنبول وكلية حلب وكليتا البنات فى بيروت واستنبول) والمدرسة العليا للآداب الفرنسية فى بيروت وجامعة الشرق الاوسط الفنية الحديثة العهد والتى أسست بأموال أمريكية . والغرض من هذا البحث هو اجراء دراسة مختصرة لوضع هذه المعاهد الاجنبية ومستقبلها فى عهد جديد ألا وهو عهد الاستقلال القومى ، مع اعطاء أهمية خاصة فى هذه الدراسة للجامعتين اللتين توجدان فى بيروت وهما تمثلان الجامعات الاخرى من نوعيهما خير تمثيل .

يمكننا عند تتبع أصل الجامعتين أن نقول بأنهما أسستا فى نفس الفترة من الزمن ، وكان الدافع لتأسيسهما واحدا ، وذلك أن البعثات الدينية الكاثوليكية والبروتستنتية كانت توسع نطاق نشاطها فى سوريا منذ العقد الرابع من القرن التاسع عشر (1830 ـ 1840) وقد شعرت هذه البعثات بحاجة الى تدريب المعلمين وانشاء مجتمعات مسيحية مثقفة . وفى نفس الوقت ، فان ازدهار لبنان المتزايد واتصاله الاوثق مع العالم الخارجى أدى الى خلق شعور قوى بحب استطلاع يود لو ينفذ لحضارة وعلوم الغرب ولم يجد هذا الشعور مكانا أفضل من مدارس الارساليات الدينية لاشباعه . وعلى هذا الاساس افتتحت الكلية البروتستنتية السورية فى عام 1866 وأصبحت هذه تسمى فيما بعد بالجامعة الامريكية ببيروت كما أسست جامعة سانت جوزيف فى عام 1875 . وخلال نصف قرن من الزمن ظل هذان المعهدان المركزين الوحيدين للتعليم العالى فى البلدان الناطقة

بالعربية فى آسيا الغربية وازدهرت فى ظل دعاية وحماية الحكومات الغربية ودون تدخل فعال من الحكومة العثمانية ، اللهم الا خلال فترة الحرب العالمية الاولى . ولاسباب عملية وأكاديمية كان معظم التعليم فى هاتين الجامعتين يعطى باللغات الاجنبية أى اللغتين الانقليزية والفرنسية . وكانت الجامعة اليسوعية فى بيروت تضم كليتين : كلية اللاهوت وكلية الآداب الشرقية ، كما أنها كانت تشرف على اعطاء دروس تقدمها الكليات الفرنسية بالاتفاق مع الحكومة الفرنسية وجامعة ليون ؛ وفى هذه الكليات كلية الطب وكلية الحقوق وبعد ذلك معهد الهندسة . ولكن بعد نهاية الحرب العالمية الاولى ، طرأت بعض التغييرات كان لها مفعول على مركز المعاهد الاجنبية فى الشرق الاوسط ، ومن ذلك أن بعض دول الشرق الاوسط أسست جامعات حكومية وظلت هذه قائمة حتى الاونة الحاضرة ومنها ما يوجد فى تركيا وايران والعراق وسوريا ومصر ولبنان نفسه . كما أن تحسن المواصلات بين مختلف أجزاء العالم قد مكن طلاب الشرق الاوسط من السفر الى البلدان الخارجية لمتابعة دراساتهم العالية هناك . أضف الى ذلك أن شعوب الشرق الاوسط بدأت تشعر برغبة متزايدة للتحصل على أكبر قسط ممكن من الاشراف والسيطرة على جميع نواحى حياتها القومية . ووراء جميع هذه التغييرات كانت تجرى عملية تحول فى العلاقة بين الحضارة الغربية وبقية أجزاء العالم . فالمقارنة القديمة بين « الشرق » و « الغرب » لم تعد على نفس الدرجة من الصحة التى كانت تتمتع بها سابقا لان العالم أصبح متحدا على أقل تقدير على مستوى الاساليب العلمية والافكار المتصلة بتنظيم المجتمع ، وبذلك لم تعد المعاهد الاجنبية مراكز أمامية منعزلة للثقافة الغربية فى عالم أجنبى عنها بالكلية . وفى هذه الظروف الجديدة ، هل هناك متسع للجامعات الاجنبية لان تؤدى دورا واذا كان الامر كذلك فما هو هذا الدور ؟ ويمكننا أن نوجه هذا السؤال بطريقتين مختلفتين بالنسبة الى الكلمتين اللتين كانتا عنوان هذه السلسلة من البحوث وهما « الحرية » و « المسؤولية » : الى أى مدى تستطيع الجامعات الاجنبية أن تتوقع أن تظل حرة لمتابعة أعمالها ؟ واذا تركت لها حريتها فهل لا يزال المجال متسعا أمامها لان تساهم مساهمة محسوسة وأساسية فى خدمة التعليم فى الشرق الاوسط فى هذا العهد الجديد من حياة هذا الجزء من العالم ؟

من المتوقع أنه بعد أن تصبح بلاد ما مستقلة وبعد أن تتحرر من السيطرة الاجنبية وتسيطر على شؤونها بنفسها لنفسها ، تنزع حكومتها الى فرض قسط من الاشراف على نظام التعليم فى البلاد ولو الى حد يجعلها تضع بعض مستويات لقبول الموظفين فى دوائرها وفى المهن العظمى . وعلى هذا الاساس

تصبح الجامعات الاجنبية تعمل ضمن حدود أضيق مما كانت عليه خلال فترة تدهور الامبراطورية العثمانية وعهد الانتداب الاجنبي · ففي تركيا مثلا ، لم تعترف حكومة هذه البلاد حتى هذه الاونة بالدرجات العلمية التى تمنحها كلية روبرت لطلابها بعد تخرجهم · وحتى فى لبنان ، حيث أطلقت أيدى المعاهد الاجنبية فى ميدان التعليم العالى حتى عهد قريب ، نجد أنه بعد ان تمكنت هذه البلاد من تطوير نظام تعليمي وتأسيس الجامعة اللبنانية ، فأنها بدأت تخلق مصاعب فى وجه الجامعتين الاجنبيتين فيها · ومثال ذلك أن اصرار الحكومة اللبنانية على وجوب حمل خريجي الجامعات الذين يريدون ممارسة بعض المهن المعينة للبكالوريا اللبنانية · وهذا الاصرار من شأنه حتما أن يؤثر على الجامعة الامريكية ، خصوصا وأنها نظمت منذ زمن بعيد امتحاناتها ووضعت أسسا لقبول الطلاب فى معاهدها المهنية · أضف الى ذلك أن الحكومة اللبنانية وضعت فى العالم الحالى حدا لاحتكار معهد الحقوق الفرنسى لتعليم القانون وذلك بالسماح بتعليم القانون باللغة العربية وهذا الاجراء أثار نزاعا تربويا تعدت جذوره العميقة الى أسباب سياسية ودينية ·

ان هذه القيودات أمر محتوم لا يمكن تجنبه ولا ريب انها تضغط وتؤثر على سير العمل فى المدارس المهنية للجامعات الاجنبية ، ولكن هل يجدر بهذه الجامعات أن تتوقع شيئا آخر كالاشراف على التعليم والتدخل بسيره ؟ فى بعض البلدان بدأت الحكومات تمارس مثل هذا الاشراف ومن السهل أن نفهم الاسباب التى دعتها لذلك · فخلال القرن الاخير ، تعرض الشرق الاوسط الى عمليات عديدة متصلة ببعضها بعضا من التغير ومنها أن الحكومة المركزية بسطت سلطاتها على مجتمع كان يتألف فى السابق من مجتمعات تتمتع بشبه حكم ذاتى وتعيش حسب عاداتها ضمن اطار وحدة غير متماسكة الاجزاء · أضف الى ذلك انتقال بلدان الشرق الاوسط من مرحلة اعتبار الدين أساسا لتوضيح الشخصية القومية والتضامن الاجتماعى الى مرحلة اعتبار اللغة أساسا للقومية والتضامن الاجتماعى ، ثم ازدهار وتدهور السيطرة الغربية من ثقافية واقتصادية وسياسية · ولكن هذه التغييرات أثرت على المدارس الاجنبية · وعند ما تفرض الحكومة سيطرتها يصعب جدا كبح جماح هذه السيطرة فى مجتمع تكون فيه المنظمات التقليدية **كالعلماء** والنقابات المهنية والقبائل آخذة فى التدهور والاضمحلال مما يجعلها غير قادرة على أن تكون حافظة للتوازن · أن التشديد على أهمية الوحدة اللغوية من شأنه أن يهدد تقاليد الجامعات التى دأبت منذ أمد بعيد على تعليم طلابها باللغتين الانقليزية والفرنسية وتمكنت من المحافظة على مستويات عالية بفضل التمسك بهاتين اللغتين · أضف الى ذلك أن الجامعات

الاجنبية يمكن أن تعتبر معاقل للنفوذ السياسي الاجنبي أو أن تعتبر على أقل تقدير عاملا من عوامل استمرار اعتماد النخبة المختارة من الامة من الناحية الثقافية على أمة أجنبية • وبالواقع فان جميع ما ذكرنا قد حدث شيء منه فى بعض بلدان الشرق الاوسط • فالمدارس الامريكية فى تركيا قد وجهت مصاعب خلال فترة تأسيس الدولة التركية ولم تستطع جميعها المحافظة على حياتها فى وجه تلك المصاعب واضطرت المدارس التى بقيت الى التمشى مع أنظمة الدولة المتعلقة بتعليم بعض المواضيع المتنازع عليها كالادب التركى والتاريخ التركى • وفى مصر تواجه المدارس اليسوعية الفرنسية مصاعب من نفس النسق الذى واجهته مدارس الامريكان فى تركيا وقد أغلقت الحكومة بعض مدارس اليسوعين فى مصر • وأما فى لبنان فيرجع أن لا يحدث ما حدث فى تركيا ومصر الى وقت طويل على أقل تقدير ، ليس لان جامعة الحكومة اللبنانية حديثة العهد ولا لانها تكون منافسا قويا للجامعات الاجنبية فى المستقبل القريب فحسب ، بل لان بنيان لبنان يختلف عن غيره من البلدان • ان الحياة الاقتصادية فى لبنان تعتمد على تلك الدرجة من الحرية التى تتمتع بها المؤسسات الاجنبية العاملة فيه ، وتعتمد حياة لبنان السياسية على توازن حساس بين مختلف الطوائف الدينية والاقطار السياسية ولا يمكن لهذا التوازن أن يظل قائما اذا حاولت فئة فرض آرائها على الفئات الاخرى أو اذا حاولت الحكومة الضغط بشدة على أى فئة من فئات المجتمع • أضف الى ذلك أن المجتمع اللبنانى ينطوى فى حد ذاته على ما يحفظ التوازن فى وجه ضغط حكومى على فئة من فئاته • فالمجتمعات اللبنانية لم يصبها من التفكك ما أصاب المجتمعات فى مصر أو فى تركيا • أن جذور الطوائف فى لبنان أعمق وأرسخ من جذور الحكومة نفسها ، كما أن هذه الطوائف تدين بولاء لزعمائها الذين يرثون الزعامات أبا عن جد بشكل أشد وأرسخ من ولائها للحكومة • وعلى هذا الاساس فان الجامعتين الاجنبيتين فى لبنان تعتبران مركز ولاء واخلاص قوى • فخلال قرن من الزمن ، كانت الجامعتان تقدمان التعليم للفئة المختارة من أصحاب الفكر فى لبنان أو بالاحرى لفئتين مختارتين أولاهما فرنسية الثقافة والثانية أمريكية الثقافة وخريجو هاتين الجامعتين يؤلفون هيئات ضاغطة تستطيع اذا دعت الضرورة أن تمنع الحكومة اللبنانية من التدخل فى شؤون الجامعتين الى حد غير مقبول •

ولذلك يبدو أنه من المرجح أن تظل الجامعتان قائمتين ومزدهرتين الى أقصى حد عملى أن نتوقعه • ويتبادر الى ذهننا الآن هذا السؤال : اذا استطاعت هاتان الجامعتان البقاء حية فهل ثمة من سبب يدعو الى بقائهما ؟ أو بعبارة أخرى هل هناك من عمل ايجابى يمكنهما القيام به لوحدهما دون غيرهما أو هل هناك

مسؤولية فى وسعهما القيام بها ؟ اذا نظرنا الى المستقبل القريب فالجواب على هذه الاسئلة سهل • ان هاتين الجامعتين أقل تعرضا من الجامعات الحكومية للضغط السياسى والادارى ولذلك فأن فى وسعهما فرض شروطهما على قبول الطلاب ومنح الدرجات العلمية كما أن فى وسعهما تقديم شروط مقبولة من ناحية نسبية لاساتذتهما ولموظفيهما وبذلك يمكنهما المحافظة على مستويات أعلى من الجامعات الحكومية • أضف الى ذلك أنه ما دام على الطلاب الذهاب الى أوروبا أو أمريكا لتلقى تدريب أعلى فان الجامعات الاجنبية تقدم لهم ما يحتاجونه من لغات أجنبية وتجعلهم معتادين على طرق التعليم والابحاث الغربية وتساعدهم على ايجاد أمكنة لهم فى معاهد ملائمة • ومن الواضح أنه أسهل على طالب الجامعة الامريكية ببيروت متابعة دراسته فى جامعتى هارفارد وأكسفورد من طالب الجامعة السورية فى دمشق • ولكن هذه المزايا مؤقتة وقد لا تعيش أكثر من جيل واحد • وهنا يتبادر الى ذهننا السؤال : هل ثمة من عمل دائم تستطيع الجامعات الاجنبية القيام به بحكم الضرورة ؟

يجب علينا أن نميز بين وضعى الجامعتين الاجنبيتين ببيروت • فالجامعة الامريكية لم تعد كلية ارسالية بروتستنتية كما كانت سابقا ولكن جامعة سانت جوزيف لا تزال جامعة كاثوليكية • أضف الى ذلك أن الجالية البروتستنتية فى لبنان والشرق الاوسط صغيرة بينما يوجد فى الشرق الاوسط ما يقرب من مليون كاثوليكى • وهكذا نرى أن الجامعة اليسوعية ما يزال أمامها عمل معين لتقوم به كمركز للتعليم العالى لابناء الجالية الكاثوليكية • حقا ان الكاثوليك فى بلدان الشرق الاوسط غير لبنان قد يفضلون ارسال أبنائهم الى الجامعات الحكومية لاسباب عملية ، ولكن الكثيرين من الكاثوليك سيظلون يرسلون أبناءهم الى معهد تقوم حياته الفكرية على أسس ومبادىء يقبلها الاباء • واذا طرحنا هذا الدرس المعين جانبا فهل تستطيع الجامعة اليسوعية أو الجامعة الامريكية وغيرهما من المعاهد الاجنبية الشبيهة بهما أن تؤدى دورا فى الحياة الفكرية لبلدان الشرق الاوسط ؟ يرجح أن يكون دورها الحالى أضيق نطاقا مما كان عليه فى الماضى • مع مرور الزمن ، ستتولى الجامعات الحكومية القسط الاكبر من التعليم الجامعى تحت مستوى التخرج والبحوث فى تلك الفروع من العلوم الطبيعية التى لها تطبيق عملى مباشر فى الشرق الاوسط • ولكن بما أن عدد الطلاب الذين يقبلون على التعليم الجامعى فى ازدياد عظيم ، وبما أن الشرق الاوسط يتطلب المزيد من الاساتذة والاطباء ، فأنه يبدو أنه ليس من المرجح أن تستطيع الجامعات الحكومية فى الشرق الاوسط توفير مرافق كاملة للابحاث العلمية المجردة والتعليم عند

أعلى مستوى له • أضف الى ذلك أن هناك بعض المواضيع التى لا يمكن تعليمها فى جو من الحرية المطلقة فى الجامعات الحكومية والتى تتطلب جامعة ذات تقليد عريق فى استقلالها • وهنا يوجد مجال تستطيع ضمن نطاقه أن تقدم الجامعات خدمات للشرق الاوسط • ففى وسع الجامعات الاجنبية اعطاء أساتذتها وقتا لمتابعة بحوثهم العلمية ، وفى وسع هذه الجامعات الاعتماد على موارد المؤسسات العظمى التى تمول متعاونة مشاريع البحوث العلمية الهامة القائمة الآن (وبالفعل فأن الجامعة الامريكية ببيروت قد اتصلت بمساعدات مالية هامة من مؤسستى فورد ورووكفلر الامريكيتين) • كما أن للجامعات الاجنبية اتصالا وثيقا وتعاونا وديا مع ذلك العدد القليل من الجامعات الدولية الكبرى التى لا تزال تؤلف قلب العلم والتعليم فى العالم • وفى وسع هذه الجامعات القيام بدراسات من نوع معين فى جو من الحرية والقيام بنوع من الدراسة التاريخية التى تتعدى أفق القدميات الحالية من ناحية واجراء دراسات حول المبادىء والمعتقدات السياسية والشؤون الدولية والتاريخ المعاصر من ناحية أخرى •

وعلى هـذا الاساس يمكننا أن ننظر الى الجامعتين الاجنبيتين فى بيروت كمؤسستين تتضمنان بالاضافة الى كليات للتعليم العالى الى مستوى التخرج من الجامعة معاهد طبية ومهنية وعددا من معاهد البحوث والدراسات العليا فى الرياضيات والطبيعيات النظرية والتاريخية (ومن ضمنه تاريخ الفكر) وللعلوم السياسية والاقتصادية • وهنا يوجد دور يمكن لهاتين الجامعتين أن تؤدياه بحكم الضرورة ، ولكن لا يمكن تأدية هذا الدور الا اذا توفرت بعض شروط معينة ، حتى تنمو وتزدهر الجامعة • يجب أن يكون لها مبدأ فكرى عميق الجذور ، سواء أكان هذا المبدأ واضحا أو ضمنيا ، ويجب أن يكون لها سلسلة من المعتقدات عن العالم أو عن معرفة الانسان للعالم على أقل تقدير ، من شأنه أن ينظم تسلسلا للعلوم ويوفر أساسا مشتركا للمناقشات العلمية ويخلق ذلك الشعور بالمسؤولية الذى هو دافع العمل العلمى الحق • وفى نفس الوقت يجب أن تكون هذه الجامعة متصلة الجذور مع زمانها ومكانها ومرتبطة ارتباطا مباشرا بحاجات وآراء المجتمع الذى تخدمه •

ان جامعة سانت جوزيف هى جامعة كاثوليكية • وان مبادئها الفكرية واضحة جلية ، وهى كما جاءت فى كتيب صغير توزعه توجد للغاية التالية :

« Pour le progrès des sciences et des lettres françaises et arabes et pour le plus grand rayonnement de la foi catholique ».

وأما الجامعة الامريكية فلم تعد « مجرد معهد بروتستنتى وانجيلى » كما جاء

فى القانون الذى بموجبه تأسست • فهى من الناحية الرسمية لا ترتبط بأى مبدأ ميتا فيزيقى كما أن مشكلتها هى مشكلة جميع الجامعات غير الدينية (وهى من ناحية عامة أعظم الجامعات فى عالم اليوم) • والمشكلة هى : كيف يمكن ، مع قبول التنوع الدينى والميتافيزيقى ، خلق وحدة أدبية وفكرية قوية لدرجة يمكن معها انشاء جامعة بكل معنى الكلمة ؟ وكيف يمكن من عدم وجود معتقدات دينية وميتافيزيقية مشتركة وضع معيار متفق عليه ومستقر راسخ الاركان لما يجب أن يعلم فى الجامعة ومدى التشديد على كل نوع من العلوم ؟ ان الجامعات العلمانية فى العالم الحديث تتمسك بمبدأين يلعبان نفس الدور الذى لعباه فى جامعة باريس أو جامعة الازهر فى العصور الوسطى وهو دور تحديد وتعريف مجموعة من الحقائق التى تتجلى للانسان والدفاع عنها • والمبدأ الاول هو فكرة العقل واستقلاله الذاتى وكفايته ومكانه الاول فى حياة الانسان وفكرة الحياة التأملية على أساس أنها حياة ذات قيمة أصلية • والمبدأ الثانى هو فكرة التاريخ مع النظر اليه كوحدة كاملة يقدم مادة مشتركة (والى حد ما) طريقة مشتركة للعلوم الانسانية الاخرى كما يقدم أيضا وحده للتحادث بين الناس ومعيارا للاهتمام ومركز تدريب على القيم الاجتماعية والسياسية •

ان الموضوع هام جدا بحيث يصعب تتبعه هنا ولكن يجدر بنا أن نتحدث بشكل أوفى عن المتطلب الثانى من المتطلبين الاثنين اللذين تكلمنا عنهما • أن الرياضيات والعلوم الطبيعية لا تعرف حدودا ، ولكن دراسة العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية تتصل بطريقة دقيقة ومعقدة باللغة التى تعلم بواسطتها وبالمجتمع الذى تعلم بين ظهرانيه • وفى هذا المجال يوجد شعور ما بأن الجامعة الاجنبية لا تستطيع أن تعكس صورة كاملة للمجتمع الذى تعمل فيه • والسبب فى ذلك هو ليس مجرد كون هذه الجامعة تعلم وتقوم ببحوثها العلمية بلغة أجنبية : أن ازدواج اللغات متأصل الجذور فى الثقافة العصرية فى الشرق الاوسط ، ومن الضرورى أن تعرف الطبقة المثقفة فى أى بلد من بلدان العالم لغتين ، اذا لم تكن لغة هذا البلد الاصلية هى الانقليزية أو الفرنسية أو الروسية • والاهم مما ذكرنا أن الاتزان النهائى المالى والادارى على الجامعات الاجنبية يوجد فى أيدى أفراد وهيئات ليست من البلاد التى تعمل فيها الجامعات ، ولذلك ترى هذه الجامعات نفسها مضطرة لان تستجيب لمجموعتين من المصالح والفكرتين عما يجب أن تكون عليه الجامعات أو لا تكون • وهنا يوجد شعور بأن الجامعات الاجنبية ليست مرتبطة كل الارتباط بلبنان وبالشعوب العربية وغير قادرة على ذلك التكليف المتبادل والاستجابة المتبادلة اللذين يقعان دون شعور بهما بين مجتمع من المجتمعات وبين الجامعة التى توجد فى صميم

الثقافة القومية • وبالفعل فان ثمة ما يوحى لنا فى بعض الاحيان بأن مفهوم الشرق الاوسط وعلاقاته مع الغرب كما تتجلى فى عمل الجامعتين فى بيروت قد أصبحت قديمة العهد لا تلائم الزمن الحاضر • يوجه الانتقاد للجامعة اليسوعية لانها تشدد كثيرا على مسألة انفصال لبنان وارتباطه الوثيق بالدول المسيحية من حوض البحر الابيض المتوسط الغربى • كما أن من بعض كاثوليك الشرق الاوسط من يعتقد بأن الكاثوليكية يجب أن تصبح أكثر عروبة مما كانت عليه وأن تعرب عن فلسفتها الدينية وتمارس عبادتها باللغة العربية وأن تشعر بالعالم العربى المحيط بها ليس كخطر يتهددها بل بأنه ميدان تعتبر نفسها مسؤولة أمامه • ويتهم القوميون اللبنانيون الجامعة الامريكية بأنها تدعو أكثر من اللازم الى فكرة أمة عربية لا تقوم على أساس وجود لبنان كدولة مستقلة كما يتهمها بعض القوميين العرب بأنها تعمل فى سبيل توجيه العرب نحو منهج ثقافى واقتصادى غربى لم يعد ممكنا الآن أو مرغوبا فيه • اننا لا نقول بأن هذه الاراء صحيحة بحكم الضرورة ولكن أصحابها يؤمنون بها أيمانا قويا وهذا يعنى بأن الجامعات الاجنبية فى لبنان ستدفع نحو هامش الحياة الفكرية للبنان العربى ، ما لم تتمكن هذه الجامعات من تغيير طبيعتها تغييرا أساسيا • ولكن ادخال هذا التغيير الراديكالى صعب بالنسبة لمعاهد قد خلقت لنفسها طابعا خاصا بها وتقاليد خاصة بها • ان اعتبار هذه الجامعات من الناحية المالية على الاموال الفرنسية أو الامريكية هو أوضح المصاعب التى تواجهها ولكنه ليس أهمها •

ومن ناحية مبدئية ، نستطيع القول بأن حاجات الشرق الاوسط فى عهده الجديد يمكن سدها بواسطة الجامعات الوطنية التى هى مراكز الابحاث العلمية والتعليم ا لعالى ومراكز للتعليم حتى مستوى التخرج والتكوين المهنى • وسواء أكانت هذه الجامعات تنال مساعدات مالية حكومية أو لا تنال ، يجب أن تسيطر عليها هيئات ذات استقلال ذاتى تغار على حرية الجامعة وترتبط ارتباطا أكاديميا وثيقا بجامعة عظيمة فى أوروبا أو فى أمريكا ، ولكن مثل هذه المعاهد لا يمكن أن تنمو فى يوم واحد ، ولذلك فانه حتى تظهر جامعات تملك كل هذه المزايا ، يظل المجال متسعا لتلك الجامعات التى تملك بعض هذه المزايا ومن ضمنها بعض المعاهد الاجنبية على أقل تقدير ٪

الفكر

مجلة ثقافية شهرية

مؤسسها ومدير المسؤول : **محمد مزالى**

ص• ب• 556 — تونس

العالم والمجتمع في لبنان

بقلم
الدكتورة سلوى نصار

سأشير اشارة خاطفة فى هذا البحث الى العوامل التى تبعث العالم على الاستقصاء ، ثم سأعرض خصائص الشعب اللبنانى ومشاكله وضرورياته ورغباته • وسأذكر ، طبقا لهذا البرنامج الذى سطرناه ، المسؤليات المباشرة وغير المباشرة التى يضطلع بها العلماء كل فى ميدان عمله ، والتى تجعل منهم عناصر أساسية لحل المشاكل الراهنة ولاقامة مجتمع راشد تقدمى نشيط

المثقف ــ حسب التحديد المعروف ــ هو الرجل الذى ما ينى ــ بعد اكتمال تكوينه الفكرى ــ يبدى اهتماما كبيرا بفن ثقافى يكمل فيه معلوماته دوما ويطمح جاهدا الى تزكيتها • وقد تكون مجهودات المثقف موجهة اما الى التعرف على ذاته أو على العالم الطبيعى والحياتى الذى يحيط به ، واما الى اكتشاف ميادين جديدة قصد الظفر بعناصر فى ميدان العلاقات الجسمية والعقلية التى تربط الفرد بسائر المخلوقات الانسانية الموجودة على سطح الارض •

فالمجهودات التى يبذلها اليوم العلماء ، لاحتلال الفضاء والكشف عن مختلف عناصره تؤكد رغبتهم فى اثراء معلوماتهم ، حتى وان كانت السلط العسكرية هى المشجعة لها •

وتاريخ المجتمعات يدلنا على أن هذه الادارة الفطرية التى تحرك العالم الى أن يزحزح حدود المجهول هى مصدر التقدم وهى التى تقى تدهور النظم الاجتماعية • أجل ، ان التطبيقات العلمية فى العلم تشجع العالم على أن يواصل جهوده ، الا أن العامل الذى يدفعه الى ذلك ليس عاملا خارجيا ، ولكنه داخلى قبل كل شىء • فهو يبحث عن ارضاء رغبته لحب الاستطلاع فى سكرة الاكتشاف وفى خضم المغامرة المفتوحة بتجربة جديدة • وهو فى ذلك غير مكترث هل اليه سترجع ثمرة مجهوداته أو الى غيره • واذا ما طبقنا نتائج هذه المجهودات فوجدناها مفيدة ظفرنا بمصادقة طيبة قد يحتج بها بعضهم ليعلل الاعانة التى يبذلها فى سبيل النشاط العلمى ، ولكنها ليست الباعث الاساسى •

وقد لا يخضع العالم الى دافع داخلى فحسب ، بل هو قد يتأثر كثيرا بعوامل خارجية ، وقد يمكن أن نعلل هذه العوامل بالرضا الذى يشعر به عندما يحاول أن يبث الى غيره ، والى رعيل الشباب على الخصوص ، الحرارة التى أولدها فيه الاكتشاف الجديد والفرحة الخلاقة التى يشعر بها فى عمله •

من واجب العالم أيضا أن ينتهز كل فرصة فيستعمل عقله المثقف وخياله الخلاق وتفكيره التحليلي وعبارته المضبوطة وحكمه المخلص ومعلوماته الواسعة ليحسن توجيه المجتمع الذى يعيش فيه ، وليجعله مجتمعا افضل ماديا وعقليا • وعليه أيضا أن يرسم المبادىء التى ستكون القيم وافية بها •••

فهذه الاعتبارات التى قدمنا تقضى بوجود شروط أساسية أهمها :

أ) حريـــة العمل •

ب) أمن اقتصادى معقـــول •

ج) جو يضمن وجود اتساع فى التفكير لاتسامح فحسب •

د) احتـــرام و ود •

وهاك ما يبلور اهمية هذه الشروط •

عندما كانت الحرب العالمية الثانية مندلعة ، كان توترفورد *Tuthea Ford* وهو عضو المكتب الاستشارى العلمى البريطانى وابو الفيزيقـا النوويـة ، يعمل فى مخبره اذ دعى الى جلسة عمل فرفض الذهاب واجاب قائلا : « أظن أنى نجحت منذ قليل فى تجزئة الذرة ، وهذا فى نظرى أكثر أهمية من كـل الحروب » وهكذا واصل عالمنا بحوثه وحيدا ، وما ظن احد حينذاك أن توتر فورد الذى كانت تجاربه مصدر الفيزيقا الحديثة قد كان بصدد وضع الحجـر الاساسى للعهد الذرى • وأنه لامر عظيم الدلالة أن نرى توتر فورد يعـلم أنه فى وسعه عدم الانصياع لامر حكومته دون ان يتعرض لعواقـب وخيمـة •

ولا شك فى أن هذه الملاحظات العامة المتعلقة بواجبات العـالم تنطبق على كل مجموعة مهما كان وضعها الجغرافى • والعالم جزء حى فى النظام الاجتماعى الذى يحيط به ، لذلك كانت اهمية مسؤولياته مقيدة بشكل المجتمع الـذى ينتمى اليه • علينا اذن ان نفحص فى سرعة عن خصائص المجتمع اللبنانى وحاجاتـــه •

1) لبنان بلد صغير من حيث المساحة والسكان • وليس ثمة أمل فى ان يصبح قوة عسكرية او قادرا على ان يحمى حدوده الشاسعة ، وليس لـــه منتوجات يصدرها • فلا يمكنه أن يعتمد عـلى ثرواتـه الطبيعية ولا عـــلى اقتصاده • ولكن لبنان يتمتع بتراث فكرى واسع يدلنا على أن هذا البلـــد قادر أن يصبح كعبة يتخرج منها العلماء والادباء • وان جـودة مشاركتـــه الثقافية الهامة فى اثراء التاريخ الانسانى كفيلة وحدها بأن تبرر الاستقـلال الذى لايفتأ هذا البلد يتمتع به فى اعتزاز ، وان تحقق له دومـا المسانـدة المطلقة من بقية العالم •

2) ولقد أعرب لبنان دوما عن تعلقه الشديد بحرية الصحافة وحرية التفكير

وتاريخه يشهد بذلك • وقد يمكن أن نرى فى ذلك نتيجة لوضعيته الجغرافية ، وقد يكون ذلك خاصية ورثها عن سكانه الاولين ، أولئك الذين حوربوا فى معتقداتهم فاعتصموا بالجبال ولكنهم أظهروا استعدادا ليقبلوا فى أرضهم من شرد وحورب فى تفكيره •

3) للبنان ثلاث جامعات ومعهدان للتعليم العالى • فالجامعة الامريكية ببيروت اضطلعت منذ قرن تقريبا بدور بعيد الاهمية فى كامل أنحاء هذه النقطة من العالم • وجامعة القديس يوسف ، وان كانت أقرب عهدا من الاولى ، فهى بعيدة التأثير فى المجتمع اللبنانى • ونعلم أن تقدم هاتين الجامعتين لايعتمد على صيت جمع من العلماء ، ولكنهما انجبتا علماء عديدين فاز قسم منهم بصيت عالمى • فبفضلهما تحقق تفاعل الثقافات والاراء الغربية والشرقية ، وبفضلهما تحققت افاقة هذه البقعة من العالم للحضارة الحديثة • أما تقدمها فلا يزال مطردا منذ عشرات السنين ، وأهميتهما الراهنة تشهد بسلطانهما الثقافى الذى تتمتعان به فى نظر اللبنانيين • وهذا مثال فريد فى نوعه فى العالم العربى وفى الشرق الاوسط جميعا • وهذا الفضل يرجع بدون شك الى هاتين الجامعتين ، وهذا الامر يدعم رغبة لبنان وطموحه فى ان يصبح مركزا عقليا وثقافيا يرحل اليه الناس فى طلب العلم من البلاد المجاورة ومن بقية العالم • أما الطلبة والاساتذة فهم ينتمون حاليا الى 53 جنسية •••

4) والجامعة الثالثة هى جامعة لبنان ، اسست منذ عشر سنوات وترعرعت حول دار المعلمين • ولبنان ينجب منذ عشرات السنين ، بفضل معاهد التكوين الصناعى ، معلمين وأطباء ومهندسين يفون بحاجات البلاد • ولقد فارق هؤلاء الرجال والنساء طوعا المعاهد التى كانوا فيها ، وهم يقومون بمهمتهم احسن قيام لفائدة مهنتهم ، وبدون ان يحاولوا فرض مذاهبهم على الذين يعايشونهم ولعل الامريكيون عكس ذلك لو كانوا مرتبطين بحكومتهم

5) العربية لغة لبنان الرسمية • الا ان عددا من مظاهر هذه اللغة الجميلة الغنية يثير صعوبات اهمها :

أ) الفرق الشاسع بين لغة التخاطب ولغة الكتابة ، فسهلت هذه الثنائية فى اللغة تكوين طريقتين فى التفكير •

ب) الكتب الاساسية فى العربية لا تفى بالحاجة ، والمعاجم لا يفيد منها الا الذين برعوا فى اللغة ، وهى ليست بنفع ذى بال لمن يريد دراسة هذه اللغة•

أما الاسفار التى تضمنها المكتبات فقليلا ما يظفر بها اذ لم تنظم تنظيما موحدا

ج) من الصعب أن نتكلم بعبارات مضبوطة رغم غنى هذه اللغة أو قـل لهذا السبب نفسه ·

6) المجتمع اللبنانى يجتاز اليوم فترة انتقال اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية ، وهو يشهد تطورا سريعا ناتجا عن تاثير العلوم والفنون الحديثة · وما من شك فى أن هذه العلوم التى نشأت بعيدة عن الشعب اللبنانى سوف يكون تاثيرها فى لبنان مختلفا عن تاثيرها فى مجموعة غربية · فعندما لايشارك شعب فى انشاء فن حديث ثم يجنى مع ذلك فوائده ، لايعدو أن يشعر باحترام ملؤه التعجب ازاء عظمة الآراء والمعارف التى يقـوم عليها هذا الفن ، وهذا لا يدفعه أبدا الى تحسين هذه الاكتشافات أو الى العمل لتحقيق اختراعات جديدة ·

7) النفوذ الاجتماعى فى لبنان مرتبط فى معظمه بالوضعية السياسية للاشخاص أو بنجاحهم فى اشغالهم أو فى مهنهم الحرة · العالم اذن يتمتع باحترام كبير ولكنه يعوزه نفوذ رجل ثابت ثبوتا ماديا متأصلا ·

8) الحوادث الاخيرة التى اجتازها لبنان منذ زمن ليس بالبعيد تدلنا على أن وحدة لبنان مهددة بخلافات مصدرها أراء وافعال ناشئة عن عصبية منتشرة فى الاقاليم · فنتج عن كل هذا وضع عرض فيه على العالم الحد من نشاطه الفكرى المخلص · وليس غريبا أن يحلل رأى عالم جهرة أو سرا باعتبار مسقط رأسه واعتقاداته الدينية · واذا اما اعتبرنا القيم ، ورغبات المجتمع اللبنانى ، وحاجاته الخاصة وانتشار صيت لبنان فى كامل الشرق الاوسط ، أمكن أن نلخص مهمة العالم كما يلى :

أ) على العالم أن ينصف اتجاهه الفكرى ويغذيه كى يبقى فى مستوى عال، أن يستعمل جميع ما فى وسعه لفائدة اختصاصه ، أن يزكى الثقة التى وضعتها المجموعة فى عبقريته الخلاقة فيزيد هكذا فى احترام شأن الباحث ، أن يجعل المجتمع واعيا لوجوده فيشارك فى منح مهنة العالم نفوذا ستقبله التقاليد ·

ب) وعلى العالم أن يكون مربين للمستقبل ، وأن ينمى فى الطبقة الممتازة منهم حب هذه المهنة وأن يبث فيهم النشاط الذى يدفعهم الى البحث والاستزادة من العرفان · نعلم أن العالم اليوم فى حاجة ملحة الى الاساتذة · لهذا يجب على كل دولة ان تعتنى بتكوين اساتذتها ، الا انه من واجب البلد الصغير أن

يحذر مغبة العيش منكمشا على نفسه اذ أن تبـادل العلماء والاساتذة والطلاب أمر ضرورى لاطراد التقـدم • فسيقصد العلماء الاجنبيون لبنـان اذا ما كانت مراكزها الثقافية متأهبة لان تكونهم تكوينا عاليا • لذلك سيكون للمؤتمرات الثقافية العالمية فى لبنان تأثير بعيد فى هذا المضمار •

ج) على العالم أن يشارك فى انشاء طريقة تفكـيرية • فالعلماء هم المسؤولون الاولون على بعث طريقة فى التفكير أساسها البحث الموضوعى العلمى وخاصيتها الاخلاص العقلى سواء فى فن الطب أو فى فن التجارة • فالجامعات هى التى تعد رجـال الدولة ، ورجـال القضاء ، وبعبارة أوجز جميع الذين يسيرون سياسة البلاد • لذلك وجب على العالم أن يبث فى هؤلاء جميعا حب التفكير الموضوعى والعمل المخلص ، خصوصا فى هذا العصر الذى طغت فيه عـلى الناس موجـة التفكـير العـــاطفى •

د) على العـالم أن يضبط المذاهب الفكـرية المـاسة بالميـادين الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية ، فيعمل بذلك على تطوير العدالة الاجتماعية والتقدم الفنى والمساواة فى نظام يقـوم فيه الحكم عـلى الديموقراطية وعليه أن يحدد الاهداف التى ترمى الامة الى تحقيقها فيعمل هكذا على توحيد جميع عناصر المجتمع • وعليه أن يزيل العقبات التى فرضتها على البـلاد الازمة الاخيرة وأن يبث باخلاص حرية التفكير والتعبير ، وحرية التحليل والنقد والرفض ان دعت الضرورة لذلك • وهكـذا يصبح العالم باعثا على الاستقرار بعد هذا الغموض الناشىء عن الاضطرابات الاخيرة •

هـ) واجب على العالم أن يعمـل على تبسيط اللغة لا ليطمس جمالها ولكـن ليسهل استعمالها • وعليه أن يستعمل لغة واحدة لا لغتين ، وأن يجعل المراجع والمصادر أسهل استعمالا وأكثر نفعا • فللعالم اللبنانى يرجع الفضل فى احياء اللغة العربية فى مطلع هذا القرن •

و) وعليه فى النهاية أن يقرب مختلف الفنون والثقافات والمذاهب الفكرية بعضها من بعض ، وأن يكون حامى حمى حرية العمل المتبادلة وحرية التفكير•

أسلوب التعليم بجامعة الخرطوم واستقلال الجامعة

بقلم المكي شبيكة

سأحاول فى هذه اللمحة القصيرة ألا أعيد بقدر المستطاع ما قد جاء فى تقرير الاستاذ ميتشال قرانة ٠

انه لم تمر ثلاث سنوات على وجود جامعة الخرطوم باعتبارها مدرسة عليا مستقلة لها شهائدها ولكنها تحصلت على استقلالها الداخلى منذ سنة 1945 حين انظمت مختلف المدارس العليا بعضها لبعض واجتمعت تحت اسم « معهد قردن » القديم وفى سنة 1951 التحقت بهذا المعهد اقدم مدارسنا العليـــا اعنى مدرسة كتشنار الطبية التى اصبحت « مدرسة الخرطوم الجامعية » الملحقـــة بجامعة لندن التحاقا خاصا ولم تتحصل هذه المدرسة على القانون الجامعـــى الكامل الا فى يوليه 1956 ٠

وفى ابريل 1959 سينال الفوج الاول من الطلبة شهائده من بعض كليـــات جامعة الخرطوم ٠

ان المؤسسة التى اتحدث عنها احتفظت خلال مراحلها المختلفة بميزة توجد حتى فى مدرسة قردن القديمة ايام لم تكن سوى معهد ثانوى ذلك ان التعليم الجامعى بها يجرى على النمط الانقليزى ، فلغة التدريس ما زالت الى الآن وربما لاتزال لامد طويل اللغة الانجليزية ماعدا تدريس العلوم الاسلامية واللغـــة العربية وتاريخ الشرق ٠ ومازالت الصلة بلندن قائمة بصفة شبه رسمية عـلى طريق ممتحنين خارجيين واستشارات « اكاديمية » تجرى دوريا والى الان يساعد المجلس الداخلى لجامعة لندن جامعة الخرطوم فيما يتعلق بانتداب رجال التعليم كما ان اساتذة الجامعات البريطانية يسدون لها بنصائحهم ـ بصفتهم مستشارين اكاديميين ـ لتسمية او ترقية افراد اسرة التعليم برتبة قراء او اساتذة ٠ واما مستوى الرتب والالقاب الاكاديمية فهو يطابق مستوى الجامعات البريطانية هذا وان رجال التعليم المؤلفين من بريطانيين وسودانيين ومصريين يمتازون بنفس الميزة ، ذلك أن السواد الاعظم من المجازين والمبرزين تخرجوا من جامعات بريطانية بينما عدد خريجى الجامعات الامريكية ضئيل جدا ٠

وكان لهذه الوضعية مفعول ايجابى ذلك ان جميع افراد رجـال التعليـــم يقومون بعمل مشترك مبنى على نفس الاساس الاكاديمى فانتصرت روح التعاون والتضامن المهنى على ازمة السويس سنة 1956 ولم تعكر الحوادث ما يسود بين البريطانيين والمصريين من جو جامعى ولم تدخل اى اضطراب على سير التدريس

ان جامعة الخرطوم كما لاحظ الاستاذ قرانة يسيرها مجلس يشارك فيه نواب مجلس الشيوخ الجامعي وافرادها رجال التعليم الذين لايشاركون الان فى مجلس الشيوخ الجامعي كما يشارك فيه أيضا الوزارات المعنية بالامر ومكتب الجزيرة وحاملو شهادات الحجر التجارية والمهن المتطلبة لتكوين خاص

والغاية من هذه المشاركة هي التوحيد بين الاسرة الجامعية وأشد عناصر المجتمع حيوية فيما يتعلق بادارة شؤون الحياة الجامعية ٠

وليس للحكومة أى تدخل مباشر أو غير مباشر فى شؤون الجامعة مع أنها تتحمل أعباء المسائل المالية ، فممثلو الوزارات الذين يشاركون فى المجلس المذكور لايتلقون تعليمات من وزرائهم ٠ وكل المشاكل المتعلقة بالجامعة يقع الخوض فيها عادة فى البرلمان من طرف وزير التربية القومية حتى لا يبقى أى شك فى استقلال الجامعة الداخلي ٠

والسودان يسعى الان سعيا موفقا للتغلب على مشاكله الاقتصادية والمالية فالمجلس الجامعي يقوم بالتخفيضات التى يراها متحتمة فى ميزانيته ٠ هذا وان الحكومة ـ والرأى العام يساندها فى ذلك ـ تعترف بأهمية الجامعة فى حياة الامة لذا تسعى جهدها كى تتجنب التخفيضات الباهضة من اعانتها المالية لها حتى لا يتباطأ سير التقدم المنجز ولا تنهار المشاريع المسطرة ٠

وأما فيما يتعلق بدور الجامعة فى المجتمع فاني لا أعرف مؤسسة مماثلة عادت بالنفع العميم على السودان مثل جامعة الخرطوم فهى التى تضطلع بمهمة اعداد تلاميذها للمناصب الاكاديمية والمهنية والادارية والتربوية وقد أعترف لها بهذا الدور كامل الاعتراف يوم تحصل السودان على استقلاله وتمكنت جميع المصالح الحكومية فى الشروع فى سياسة سوادنية صرفة ٠ فرجال التعليم يشاركون زملاءهم فى الحكومة فى القيام بشتى البحوث ويعود هذا الى العهد الذى كانت فيه مخابر البحوث الاستوائية ذات النفع الجزيل للبلاد مرتبطة بمعهد قردن القديم وهناك بعض مشاكل أثارها ارتباط المجتمع بالجامعة فيما يتعلق بتكوين الموظفين والاختصاصيين الذين تحتاجهم البلاد وتنحصر هذه المشاكل خصوصا فى بعض التضارب بين عدد الكفاءات المطلوبة وبين مستوى الرتب ٠ فالمسألة هى الاتية : هل ينبغى الحصول على العدد المطلوب ولو على حساب المستوى أم هل ينبغى المحافظة على هذا المستوى على حساب النتائج العديدة وفى الساعة الراهنة يجرى العمل حسب المنهاج الثانى ٠

ان معظم رجال التعليم ـ كما جاء فى تقرير الاستاذ قرانة ـ يتألفون من أشخاص أجانب عن البلاد وقع اختيارهم بطريقة المناظرة من طرف لجان خاصة باشارة من المستشارين الخارجيين ويقع من آن الى آخر تعديل شروط الانتداب حتى يتم الحصول على أحسن العناصر ويقع تشغيل الاشخاص المنتدبين على أساس عقد لمدة خمس سنوات تجدد لنفس المدة بصفة غير نهائية ٠

وهناك طريقة لاعداد السودانيين تمكنهم من الحصول على الكفاءات المطلوبة لعمل قار وبما ان شهاداتنا تطابق مستوى تعليميا ساميا فلا يتسنى لاى سودانى كان أن ينضم الى سلك رجال التعليم ان لم يبرهن على كفاءة ضرورية ٠ فالسياسة المتوخاة فى هذا الظرف لاترمى الى التعجيل بالسودنة بل الى الاكثار فى الجامعة ـ بقدر المستطاع ـ من أعضاء سودانيين قارين أكفاءلا لشغل مراكز أكاديمية بالخرطوم فحسب بل حتى فى جامعات أخرى ذات مستوى راق ٠ ولا تقع تسمية الشخص محاضرا أو أستاذا الا اذا قدم نشريات لها قيمة علمية حقيقية مؤيدة من طرف المستشارين الخارجيين ٠

ولاتقع الترقية من سلم الى سلم باعتبار الاقدمية فحسب ٠ ونتيجة لهذا الاجراء تكاثر عدد السودانيين بالمناصب الصغرى وسوف تنقضى سنوات عديدة قبل أن يقع تكليفهم باحتلال معظم كراسى التدريس ومعنى هذا ان الاساتذة الاجانب الموجودين الآن يتمتعون بأكثر ضمان من المحاضرين البسطاء وقد يلغى تجديد عقدة استاذ لا سبيل الى تعويضه بسودانية حتى يقع انتداب استاذ له أكثر كفاءة وفى بعض الاحيان يغادر اساتذة أجانب الخرطوم للحصول على مركز فى بلد اخر اما لاسباب شخصية واما لوجودهم به أكثر ضمان ٠

وتعترف الجامعة باهمية البحوث العلمية نظرا لمساهمتها العامة فى تقدم العلم ونظرا لما يتحتم عليها من واجبات نحو المجتمع ٠

وأنشئت فى جميع الكليات رتب مختلفة فى ميدان البحوث وتجرى ترقية رجال التعليم الى رتبة أكاديمية أسمى اثر بحوث جديدة يقدمونها وقد أعطيت لهم تسهيلات فى هذا الميدان ٠

وان اعتبرنا أن جامعة الخرطوم جامعة فتية وان نقل رجال التعليم بها تتواتر كثيرا اذا قيست بما هى عليه فى الجامعات الاخرى فالنتائج المتحصل عليها الى الآن فى ميدان النشريات والبحوث تسمح لنا بأن نتفاءل بالمستقبل ٠

ان هذه البسطة القصيرة حول جامعة الخرطوم تثبت أننا استفدنا من كوننا مؤسسة جديدة فى بلد تحصل حديثا على استقلاله ليستأنف أحسن التقاليد للجامعات الاجنبية ويلائمها وحاجياته القومية ٠ فالاسس والهيكل الاول أتت بنتائج مرضية فعلى الاسرة الجامعية والمجتمع السودانى أن يتمم تشييد العمارة على نفس القواعد مستعملين نفس المواد ٠

ورجاؤنا أن يواصل التقدم على نفس الطريق مع المحافظة على المبادىء العقلية الحالية ٠

علاقة المثقف بالمجتمع في الباكستان

بقلم م. بشير

للثقافة في باكستان صبغة استبدادية قديمة قدم الدين ، ويرجع تاريخ ظهورها الى تاريخ ظهور الشريعة المنزلة التي تعتبر الاساس الوحيد المقيد لاهداف مصير الانسان • وكلما رمى الدين الى اقامة نظام اجتماعي عادل ، صار من الحتمي المتأكد أن تستقي المبادىء المدبرة لشؤون الحياة مضمونها من الارادة الالهية كما بلغها داعي الانبياء والكتب المقدسة ، وكما أولها الحكماء • فمهمة الماسكين لزمام التعليم الديني صادرة عن الهام الاهي ، وهي لا تتضمن في ابقاء محتويات الثقافة وطرقها تحت نفوذها فحسب ، بل في وقاية الحق من شائبة حرية التفكير الشيطانية •

ونعلم أن الخضوع لهيمنة النفوذ القائم كان دائما أمرا من أهم مقتضيات الدين • فلقد كان للملوك في العصر الوسيط نفوذ روحي حتى أصبحوا المصدر الوحيد لجميع الاحكام ، وكذلك المشرعين المطلقين لدولهم • فكان الذين يتئامرون على ملوكهم أو يثورون عليهم يعتبرون اخوان الشياطين ويعاقبون شديد العقاب • ولم يظل عهد الحرية في القرن الثامن عشر ، لان الفرد ، بعد ما تحرر ساعة ، لم يلبث ان سقط تحت نفوذ الدولة السائرة حسب برامج مضبوطة ، نتيجة للملابسات المتشعبة الناشئة عن التصنيع والتجارة في هذا العهد العلمي الحديث •

لا شك أن تفاعل الامم في القرن العشرين ناهض المفهوم القومي للدولة ، ولكن هذا التطور لم يرجع الى الفرد حريته التي نزعت منه ، حرية الاستعلام والتثقف • فلم تلبث هذه القومية العالمية ان صبغت بصبغة الشيوعية أو الديمقراطية ، حتى لجأت بلدان متعددة الى وسائل ضغط عجيبة كي نقي المواطنين شر المذاهب الفكرية الهدامة •

ويمكن اليوم أن نرى في الشرق ـ هذه البلاد المتخلفة في اقتصادها وغير المستقرة في سياستها ـ أربعة أنواع من النفوذ : الهيمنة الشيوعية في الصين وشمال الفيتنام والعراق ، والهيمنة الديمقراطية في تركيا وباكستان والفيليبين والهند الصينية ، والهيمنة الاوتوقراطية في أفغانستان وايران والعربية السعودية ، والهيمنة الحيادية في اندونيسيا وبرمانيا والهند والجمهورية العربية المتحدة • وفي جميع هذه البلدان نرى تقريبا طبقات أرسطقراطية ،

وصلت بنفسها الى دفة الحكم ، تفرض على الثقافة غايات تتماشى وطموحها السياسى ، وهم يؤكدون فى أن كل الاضطهادات هى وسيلة لحماية الطريق الوحيدة – لا الفضلى ولكن الوحيدة ! – التى تؤدى الى السلام ·

وهكذا نجد أربعة عوامل أساسية تجعل من جهازنا التربوى جهازا عقيما : عنيت بها العوامل التى ترجع الى السياسة والدين والمجتمع والاقتصاد · أما مصالح السلط الاجنبية فكان يقوم بها موظفون صغار أحسن مما يقوم بها رجال قادرون على الاضطلاع بمسؤوليات سياسية عظمى وذوو فكر واسع متفتح للبحث ·

لقد كان من السهل أن نقلب هذه الثقة التى يضعها الطفل فى مولفى Maulvi « وهو مرب دينى » الى انقياد خالص من شائبة النقد لآراء الاستاذ الذى يدرس المواد التى لا تمت الى شؤون الدين بصلة ، عند ما يكون الطفل فى مستوى المدرسة الثانوية ·

فالعائلة فى باكستان تفرض على الطفل التسليم تسليما مطلقا باراء المعلم ، وكذلك المعلم يتظاهر بالنفوذ المطلق كى يضطلع بمسؤولياته الاجتماعية ازاء مجموعة تتخبط فى ظلمات الجهل · وهكذا صار الطفل لا يطمح الا الى تحصيل رتبة محترمة تعتبر وسيلة لبلوغ منصب فى الدولة ، دون أن يحاول اعمال الفكر فى المعلومات التى حفظها ·

الباكستان بلد فتى ، يجتاز اليوم مرحلة انتقالية · فلا بد من البحث عن اجراءات تمكننا من حل عدة مشاكل ، منها :

كيف نعيد النظر فى النظام التربوى مع احترام الاتجاهات الفكرية الخاصة بالباكستان ؟

كيف نجعل الثقافة فى خدمة الحياة ؟

كيف نوفق بين التربية الابتدائية والتربية الثانوية والتربية العليا ؟

كيف ننمى الشعور الوطنى بطريقة التربية ؟

وكيف نحيى شعور الحرية والمسؤولية فى نفوس التلاميذ ؟

كل هذه المشاكل تلفت انتباه المربين الذين يبحثون عن وجود حلول موافقة لها ، رغم ما يعلمون فيها من صعوبات وتشعبات ·

ان التعليم فى باكستان أمر من مشمولات الدولة · فالجامعات نفسها تعيش على منح حكومية ولا بد لها أن تقبل تدخل الحكومة فى شؤونها · أجل ، لقد برزت للوجود لجنة تهتم بالاعانات والمنح أنشأتها الحكومة المركزية كى تدرس هذه المشكلة · ولكن يجب أن نترقب طويلا لنرى الجامعات تفوز بحريتها الكاملة فتصبح اذن طريقا حقيقية تؤدى الى حرية التفكير ·

ان مراقبة الحكومة للتربية والتعليم أمر لا مناص منه فى البلدان التى لا تزال خاضعة للطبقات الارسطقراطية المهيمنة على العقارات الشاسعة ، هذه البلدان التى عليها أن تخوض اليوم معركة الحضارة الصناعية • ولا تزدهر الحرية الفردية ولا تبرز مسؤولية المواطنين بانشاء مؤسسات تربوية ثقافية خاصة الا اذا ازدهرت صناعة متحررة • ومعلوم أن باكستان لا يزال بلدا ضعيفا صناعيا ، ولذلك لا يزال تمويل المؤسسات الحرة ضئيلا ، خصوصا فى الميدان الثقافى • ولقد باءت مساعى عدد من الجامعات بالفشل كجامعة بنجاب فى محاولتها للتحرر من ربقة الاعانات المالية الحكومية • وان الضغط المالى الذى تفرضه الدولة على الجامعات حال دون أن تضطلع هذه المعاهد بمهمة تنمية حرية الفكر والبحث التى — لو تتحقق — قد تؤدى الى اصلاح نظام العلاقات الاجتماعية والاقتصادية أو تغييره •

ولم يفتأ باكستان ، منذ الاستقلال ، خاضعا لسلطة جماعة من أصحاب العقارات عمدوا الى الحد من التعليم الابتدائى ، والى جعل الثقافة فى المعاهد والجامعات ثقافة نظرية فى جوهرها • وأن تغيير هذه السياسة قد يؤدى الى تنبيه الطبقات الشعبية فيجرهم أما الى ثورة صاخبة ضد أصحاب هذه الاملاك الشاسعة ، وأما الى تقريب الطبقة المثقفة ثقافة صناعية من دفة الحكم السياسى • وهكذا كلما برزت مشكلة تحوير التعليم لتوضع على بساط الدرس التجأ المسؤولون الى اعتبارات دينية كى يطمسوا وجه المشاكل الحقيقية المتعلقة بمقاومة الامية فى السواد الاعظم ، وتحسين المستوى الفنى ، وتطوير البحوث المتصلة بالعلوم الاجتماعية ، واعانة الطبقات الضعيفة على الالتحاق بالمعاهد الثانوية والعليا •

أما العقبات الاخرى التى تقف حجر عثرة فى طريق تحوير جدى ، فناشئة عن غموض أهداف الثقافة ، وعن عدم الاستقرار الذى نلاحظه فى المواقف الفكرية : مشكلة النفوذ والحرية ، مشكلة المساواة فى الميدان الثقافى ومشكلة تحديد الثقافة حتى نعلم هل هى دين أو فلسفة أو معرفة أو مجرد وسيلة للظفر بمهنة • كل هذه المسائل تبعث اليوم الاضطراب فى نفس الرجل العادى وفى نفس المثقف أيضا • ولكن كلاهما يعتقد أنها مسائل ستحل حتما فى الابان • فالرجل العادى يزداد كل يوم تعلقا بالثقافة بل نلاحظ عند المثقفين وسواد الشعب على السواء وعيا عاما للتقدم الذى يجب تحقيقه ، وللمصلحة العامة •

كان الاستاذ — حتى السابع من أكتوبر المنصرم ، وهو اليوم الذى انتزعت فيه القوات العسكرية الباكستانية مقاليد الحكم من السياسيين الاقطاعيين — يعتبر مجرد موظف يساهم فى تثبيت النظام الاجتماعى على عدم المساواة الاقتصادية • ولم تمض أشهر على حكومة الجنرال الرئيس محمد أيوب خان حتى تكونت لجنة للتربية الوطنية أسندت اليها مهمة تحوير السياسة التربوية فى البلاد طبقا لاهداف الثورة • وفى الوقت نفسه تقريبا أسس الرئيس — عن

تدبر – لجانا مهمتها تحوير النظم الفلاحية والادارية ، فـاذا ما قـررت هاتـان اللجنتان الاخيرتان محـو الجمود الادارى وقررت تحديد الملكية العقارية ، فلا شك أن اللجنة الاولى أيضا ستحاول بعث روح جديدة فى الثقافة التى قد هدمت كيانها تقاليد قديمة عتيقة ٠

فليس للقوات العسكرية فى البلاد أية صلة بمصالح طبقة الاقتطاعيين ورجال الدين ، لذلـك هى قادرة على تجـديد النظام الثقـافى حسب حاجات مجتمعنا الجديد ٠ ومنذ أن فارق السياسيون الاقطاعيون مجتمعنا بعـد ما كانوا يظنون أنهم يمثلون الشعب بأكمله ، صار من الممكن العمل على تطوير ادارتنا المستبدة الى ادارة أساسها القيمة الشخصية وهدفها السهر على مصالح الشعب ، ولكـن هـذا الهدف لا يتحقق الا بعـد مراجعة أصلية لطرق التربية وغاياتها ٠ فمن واجب المربى أن لا يكون آلة يبث الآراء الماقبلية ، بل أن يضطلع بمهمة مفـكر اجتماعى ، يعطف دوما على تفهم حقيقة الآراء التى تتولد فى تفكيرنا الاجتماعى ، ويجتهد دوما فى ايصالها الى عقول الشباب باعتبارها أساسا للمعرفة لا وسيلة دعـــــاية ٠

ولا تـزال حتى اليـوم معظم العـلوم الاجتمـاعية والسياسية والاقتصادية والصحافية على الخصوص مطبوعة بطابع الجمود ٠ أما مادة هذه المعارف النظرية التى تقدم الى الطلبة فى مختلف الميادين ، فقد كان يديرها ويحددها المسيرون الاجانب فيجعلونها موافقة لاهداف سياستهم ومصالحهم ٠ وقد كانت كل هـذه الميادين محدودة لا تصل الى مجال الحياة اليومية فى مستوى الفرد أو المجتمع ، خوفا من أن تصبح قاعـات الدرس مصدرا للوعى السياسى ٠

فعلى طالب الغد أن يقبل على البحث الثابت المنظم كى يحل محل هذا السلك من الدراسات المسطرة طبق برنامج مقصود ، تعليما يكون ذا قيمة نثق بها فى بلادنـا ، عليـه أن يدرس العـلوم السياسية والاقتصادية والصحافية التى ستصبح ، بفضل اجتهاده فى التعرف عـلى المجتمع الانسانى ، وسيلة لتحـرير نفسه لا للضغط عليها ، وهكـذا يتمكـن من تحطيم الحواجز التى تفصل هـذه الميادين العلمية بعضها عن بعض ، وعليه أيضا أن ينظر دوما فى حوادث التاريخ وفى ما تبديه الجماعات من ردود نفسانية ، وفى تأثير الجغرافيا على الاستراتيجية وفى معطيات الثقـافة الفنية والاقتصادية كى يتسنى لـه شرح طرق تفكـير المجتمعات الانسانية القائمة وطرق حياتها ، وكى يتمكن من ابداء نظريات جديدة لفهم التقدم الانسانى والمساهمة فى تطويره ٠

لا شك أن تأثير هذا التحرر الثقافى سيكون عميقا فى التفكير السياسى وفى مختلف المؤسسات فى البلاد ٠ وبذلك تصبح مختلف المؤسسات والجامعات أكثر وعيا للمهمات والمشاكل ، فتنقص حدة الازمات بـين مختلف الطبقات وتوضع أسس جهد انشائى عظيم ، غايته تجديد الاهـداف السياسية والاجتماعية فى كنف المساواة الديمقراطية ٠

العالم والمجتمع بايران

بقلم احسان نراغي
(جامعة طهران)

تشهـــــد ايران منذ عدة سنوات تقدما هاما فى الميدان المدرسى : يوجد الآن مليون طفل فى المدارس (1959) ، فى حين أن عدد الاطفال المدرسيين كان لا يتجاوز الثمانمائة ألف لأربع سنين خلت ، فمجهودات الحكومة فى هذا الميدان عظيمة وميزانية التربية القومية ترتفع الى مائة مليون دولار • الا أن عـدد الاطفال البالغين سن الدراسة لا يفتـأ يرتفع سنة فسنة لسبب نقصان الوفيات بين الاطفال وذلك نتيجة لتحسين المستوى الصحى • فتعد ايران اليوم نسبة 24 0/0 من السكان الذين يتراوح عمرهم بين 5 و 14 سنة • ومن ناحية أخرى ، نرى مستوى حاجات البلاد يرتفع والآباء يحثون ابناءهم عـلى متابعة الدرس • والمشكلة الهامة فى الظروف الراهنة هى تكوين معلميـــن وأساتذة بطريقة سريعة •

فلقد صار للقيمة الفردية مضمون جديد فى عقول التلامذة الذين أعرضوا عن القيم التقليدية والقوا بأنفسهم فى مجتمع لايحقق رغباتهم ، ولم تتكون فيه الانظمة الاجتماعية والاقتصادية اللازمة ، لذلك يجد الايرانى نفسه بين مشكل أهم عناصره تثقيف النشىء وتطوير البلاد • وان وجود توازن بـين هذين العنصرين أمر عسير عسير اذ هو يقضى بأن يتطور المجتمع سريعا بعـد ان كان جامدا • فهـذا المجتمع تتولد فيه كل يـوم ضروريات تنشأ عن الطبقة الجديدة من جمهور المدرسيين الذين تخرجوا من المعاهد والجامعات •

أما النظام المدرسى نفسه الرامى الى جمع المعارف ، فهو قاصر عـلى أن يفى بالضروريات التى يساعد على بعثها ، فالتعليم والسينماء ، والاذاعة والصحافة والرحلات تفتح افاقا جديدة وتأتى بمعلومات جديدة الا انها لاتوفر الاسباب الثقافية لارضاء الرغبات التى يطمح اليها الافراد والجماعات • لذلك وجـب أن نحور برامج التعليم وأن نجعلها أكثر اتجاها الى العلوم والفنون التطبيقية أما التبحر فى المعلومات فأمر قائم على مضمون ثقافى واجتماعى قبل كـــل شىء • فتحوير جهازنا التربوى يقتضى على الخصوص تحويرا لجهاز القيم • لذا وجب أن نقيم جهاز للقيم يوافق تربية علمية جديدة • التربية التقليدية نظرية فى جوهرها ولا توفر الوسائل المعنوية التى تتفق واستعمال الفنون الحديثة • ولقد انتبه الى مثل هذا المشكل فى أول هذا القرن خيرة أهل الدين عندما اريد تعصير البلاد • وكان موقفهم التعلق بالتعاليم القديمة ، ولكنهم

تركوا المجال لحيرة المثقفين ثقافة أوروبية انسانية · ولقد واجهت هذه الطبقة كذلك مشكل تصنيع ايران ولم تكن لهم العناصر الكافية لحله ·ولكنهم اقتدوا في ذلك بما وقع في القرن التاسع عشر بأوروبا ، فاعتنقوا قانونا اخلاقيا قوامه المبادىء الانسانية · الا ان هذا القانون لايفي اليوم بالعناصر اللازمة ، وان تذليل هذه العقبات أمر من مشمولات المثقفين · ولكن هؤلاء المثقفين قد وجدوا هم أيضا انفسهم في صراع نفساني : لقد حطمت القوالب المعنوية التقليدية ، غير أن انشاء قوالب جديدة لم يكد يشرع فيه بعد · لذلك أصبح المثقفون اليوم في ذبذبة ولم يظفروا بعد بطريق الانسجام ، ولا بطريقة في التفكير يقرها الجميع · فمنهم من ينكمش على التقاليد العتيقة ، ومنهم من يندفع عفوا في التيار الحديث · وهكذا اتجه الشبان الى آفاق ثقافية متعارضة لايعرفون كيف يتخيرون افضلها عجزا منهم وقصورا · ودليل ذبذبة هؤلاء الشبان ازدهار التيارات الرومنتيكية الغربية الحديثة ازدهار كبيرا ، وتشاكس الافراد في عائلاتهم ، وعدم الثقة في المستقبل والتشاؤم في خصوص التطورات الاجتماعية ·

مهمة المثقفين هي وعيهم لهذه الاتجاهات المتضاربة التي تمزق صفوف الشباب وتمزقهم هم انفسهم ، واضطلاعهم باعداد مذهب منسق يجمع الحديث والقديم ·

عليهم اذن أن يحددوا تحديدا عقليا قيم الحضارة التقليدية من جهة وقيم الحضارة الفنية من جهة أخرى كي يعوا كلتا الحضارتين وعيا لاتشوبه شائبة

فالمثقفون ثقافة انسانية يقفون موقفا رجعيا ان لم نقل موقفا معارضا ازاء التطورات الاقتصادية والسياسية في البلاد · ولا نرى الا عددا ضئيلا من المثقفين على وعيهم لمسؤوليتهم ازاء مشاكل حديثة لا يحجمون عن التمتع بحرية العمل ، نتيجة تفهمهم للواقع · فقد حذقوا فهم المشاكل الراهنة في المجتمع الايراني وصاروا يحاولون الاندماج في المجموعة كي يحسنوا فقه عناصر المشاكل ويحسنوا كذلك فهم حدود حريتهم بين هذين الفريقين من المثقفين ·

نجد أغلبية ساحقة تسير على غير هدى ثقافي وهي ممزقة بين هذين المذهبين وهذين الموقفين · وهذا الفريق ، لخلطه بين المسؤولية والحرية لم يلبث ان وجد نفسه في موقف فوضوي ازاء المشاكل الفردية والاجتماعية · فالموقف العقلي الخالص سيضطلع بمهمة حيوية في المستقبل ، خصوصا وقد أسست حول جامعة طهران معاهد للبحوث العلمية (العلوم المضبوطة والعلوم الانسانية) نذكر منها معهد الصحراء ومعهد النباتات الطفيلية ومعهد الاحصائيات ، ومعهد الدراسات والبحوث الاجتماعية ···

التقاليد الثقافية وجامعات الهند

بقلم الدكتورة روميلا ثابار

مر تاريخ الجامعات بالهند بثلاث مراحل رئيسية ، نتجت كل منها عن جملة من القيم الثقافية أدخلتها شعوب أجنبية للبلاد عند ما استقروا بها وأتوا بسننهم الثقافية • ولعل هؤلاء النازحين الاولين كانوا مثقفين ثقافة برهمنية ورثوها عن أجدادهم المنحدرين من أصل هندى آرى ، عند ما أقاموا بالقارة السفلى ، (نحن لا نعلم شيئا عن الاساليب العملية للتربية التى كانت متبعة فى المرحلة الاولى منحضارة وادى الهندوس ، ولقد كانت لهذه الثقافة كتابة مكتملة ، ولكننا لم نصل بعد الى فهمها) ، أما المرحلة الثانية فهى نتيجة نزول المسلمين بالهند وكان لها طابع غير ثابت كما سنرى ذلك والمرحلة الثالثة وهى التى تجتازها حاليا ، نتجت عن تأثير الآراء الغربية والاوروبية على التربية بوجه عام ، هذه الآراء التى وصلت الى الهند عند (الفتح) البريطانى

كانت السنة القديمة قائمة على الاخبار الشفوية وهى تعتمد على ما يحفظه الناس من نصوص هامة معظمها ذو صبغة دينية • ولقد صمدت هذه السنة حتى العهود الاخيرة ، بل الى اليوم ، فى الجامعات الهندية حيث يفضل الناس حفظ النصوص على فهمها وضبط معناها

والعنصر الثانى الهام الذى يجب أن نشير اليه هو أن التربية كانت محتكرة عند الرهبان ، حتى صار الناس يعتبرونهم محيطين بكل علم ، بل أصحاب مصدر خفى يستقون منه المعارف ولا يتسنى لغيرهم أن يكرع منه • وهكذا احتكر هؤلاء الرهبان أمر الثقافة حتى ظن أنها تكوين ضرورى لاستكناه شؤون الدين

هذا هو الوضع الذى كان قائما فيما يخص التربية فى المجتمع الهندى • لقد وجد وضع ثقافى آخر بقى قائما حتى القرن الثامن قبل المسيح : أشير هنا الى الثقافة البوذية التى كانت تشرف عليها الاديرة البوذية المعارضة للنظام البرهمنى • فلقد كان البوديون يرفضون قبول السلم الترتيبى عند البراهمة ونظامهم الطائفى ، وطريقة البوذيين فى التربية مختلفة شديد الاختلاف عن طريقة سابقيتهم ، رغم ما لها من علاقات متينة بالمؤسسات الدينية ورغم اشراف القساوسة عليها • وسرعان ما انقلب عدد من هذه الاديرة الى جامعات تشبه الجامعات التى نعرفها اليوم • ولقد كان البراهمة فى العهد القديم يتجمعون فى

عدة مدن كتكسيلا (*Taxila*) و وأجين (*Ujjain*) .ويرغبون الطلبة فى الاستماع اليهم • وهكذا كانت هذه المدن تصبح مراكز ثقافية بدون أن يكسد نشاطها فى الميادين الاخرى ، الا أن الاديرة البوذية كدير نالندا (*Nalanda*) أصبحت مدنا جامعية مهمتها التعليم والتعلم • والبوذية لا تفرض أى وضع يضيق به الذين يأتون لتلقى هذا التعلم ، والقرى المجاورة هى التى تمنح عطايا سخية هذه هذه الاديرة البودية التى لا تعيش على هدايا الجيران ، مخالفة فى ذلك نظام الاديرة البرهمنية ، فتفتح أبوابها فى وجه أناس ينتمون لمختلف طبقات الشعب آملة بدون شدة أن ترغب ، بهذه الطريقة ، طلبة الجامعات البودية فى الالتحاق بها ، الا أن هؤلاء الشبان معرضون عن ذلك ، ولكنهم رغم ذلك يحظون بقبول حسن فيها ، ولهم الخيار فى العودة الى ديارهم متى شاؤوا

ولا يلتحق بهذه الاديرة طلبة من جميع أنحاء الهند فحسب ، بل من جميع الطبقات الاجتماعية أيضا ، فكانت نتيجة هذا الوضع ان انتشرت الثقافة الدنيوية دون أن ينحط مستوى التعليم الدينى • أما الفنون الخمسة التى يطالب التلامذة بالوقوف على مضمونها فهى : النحو ، واللغة ، والفنون ، والطب ، وفن المنطق والفلسفة • وهذا برنامج دراسى أفضل من البرامج المطبقة فى المراكز البرهمنية ، وتحظى المواد العلمية والدنيوية فى هذه المعاهد باهتمام كبير زاد فى تنمية حب الاستطلاع عند الطلبة الذين أصبحوا يفضلون مناقشة الآراء التى يعرضها عليهم أساتذتهم ، مناقشة صاخبة عوض أن يعمدوا الى حفظ النصوص حفظا آليا ، وأن يقبلوا فى خضوع كل الدروس التى تلقى عليهم • ومما يؤسف له شديد الاسف ، بالنسبة لتطور الثقافة فى الهند ، أن البودية لم تصبح القوة المهيمنة فيها كما هو الشأن فى الصين ، اذ كان من الممكن أن تخفف من وطأة الجمود الناتج عن الثقافة البرهمنية

وما أن استتب الامر للمسلمين فى الهند واعتنق عدد من السكان الدين الاسلامى ، حتى صار من الضرورى اقامة مساجد أضيفت اليها مؤسسات تربوية أطلق عليها اسم : « مكاتب » أو « مدارس » • والتعليم فى هذه المراكز تغلب عليه النزعة الدينية ، وكانت هذه المؤسسات مقصورة أول الامر على الطلبة المسلمين ، الا أن لغة التعليم الاساسية كانت الفارسية ثم أصبحت اللغة الرسمية لشؤون الدولة بعد ان تركزت هيمنة المسلمين فى الميدان السياسى فاضطر الفنيون الى تعلم الفارسية وفتحت هذه المعاهد فى وجه طلبة غير مسلمين • وهكذا سهل هذا الوضع تبادل آراء خطيرة أثرت فى تطور الفلسفتين الهندية والاسلامية معا • بيد أن هذه الوضعية تولدت عنها حتما لغة جديدة عرفت باسم الاردو (*l'ourdou*) ، وهى كلمة معناها المضبوط : « لغة المعسكرات » وهى مزيج من لغات البراهمة والفرس والعرب • ولم تكن لهذه اللغة علاقة بالارثودكسية الهندية والاسلامية ، فانتشر استعمالها فى المعاهد التى أسست تحت رئاسة ملوك أهل موغال (*Mughal*) • يمكن أن نقول اذن

ان احتلال المسلمين للهند تسبب عفوا فى اعطاء الثقافة صبغة دنيوية وجعلها أكثر اتساعا مما كانت عليه فى عهد البراهمة والمسلمين الاولين

ثم نشأت قوة جديدة فى الثقافة الهندية بعد مرور قرن على عهد الملك أكبر (Akbar) ، عنيت بذلك المبشرين القادمين من أوروبا • ولقد تجنب البريطانيون الذين استقروا بالهند للتجارة المشاركة فى تغيير حياة الهند بين الاجتماعية والثقافية • وتكفل المبشرون بانشاء مدارس ومعاهد على النمط الاوروبى ، ان معنى هذا النشاط هو السير فى طريق العودة الى مؤسسات ذات صبغة دينية رغم أن معاهد هؤلاء المبشرين المسيحيين كانت تبث بين الحين والحين ثقافة واسعة مفيدة

أما السياسة الثقافية التى اتبعتها بريطانيا فى الهند خلال القرن التاسع عشر فقد كانت متأثرة بعيد التأثر بالحركات الفكرية المنتشرة فى بريطانيا العظمى ، وكانت الحركة التبشيرية والحركة الانتفاعية أشد هذه الحركات أهمية • أما الاولى فكان نشاطها يرمى الى الاصلاح الاجتماعى والتدخل الفعلى فى تقاليد البلاد الهندية وعاداتها قصد جعلها مطابقة للتفكير الاوروبى ، فطالبت طبعا بأن ترصد التشجيعات الادبية والاعانات المالية لهذه المعاهد والمدارس التى تديرها جمعيات التبشير المسيحية وأما الانتفاعيون - وكان لهم أتباع عديدون من بين المثقفين الهنديين فى ذلك العصر - فقد رغبوا فى أن ينفثوا المبادىء العقلية فى طريقة العيش التى يتبعها الهنديون ، اعتقادا منهم أن هذا التغيير عملية طبيعية لا تفتأ أن تزداد اتساعا كلما ازداد الهنديون تعودا بالآراء الاوروبية فى جو ملؤه الحرية ، وأنه يجب أن يقبل طوعا لا أن يفرض فرضا •

ثم نمت بفضل ادخال اللغة الانقليزية ، نظرية أطلق عليها اسم نظرية « النفوذ الى أسفل » *L'infiltration Vers le bas* تقوم هذه النظرية على مبدا مفاده أنه اذا ما تغذت الطبقة الممتازة المخيرة من بين الطبقات الاجتماعية العليا ، بثقافة بريطانية ، لا تلبث هذه الثقافة نفسها أن تنتشر فتنفذ الى سواد الشعب ، بفضل لغة شعبية فى وسع المثقفين الهنديين العصريين استعمالها •

وليس هذا بدعا من الرأى عند الهنديين • فلقد كانت نظرية البراهمة قائمة على معنى من هذا القبيل ، اذ تأسيسها الطوائف العليا رجاء أن تنتشر هذه الثقافة حتى تبلغ الى عامة الناس • نحن نلاحظ أن الهنديين المثقفين ثقافة أنقليزية اما أن يكونوا قد ابتلعتهم المناصب الادارية واما قد جذبتهم تلك الطبقة الهامة المؤلفة من المهن الحرة التى لغتها الانقليزية • بيد أن تكوينهم الانقليزى قد حال دون نفوذ هذه الثقافة الى الطبقات الشعبية التى لا تعرف الا لغة التخاطب اليوم ، ولم يمكنهم من اخضاع المبادىء الارسطقراطية الهندية ، هذه الارسطقراطية التى ترفض فى كبرياء أن تربط بالمهن الحرة • يمكن اذن أن نعتبر أن نظرية « النفوذ » قد باءت بالفشل •

وهدف هذه الجامعات التي أسست على النمط الاوروبي في الهند ، هو تكوين طبقة هذه المهن الحرة • أما أقدمها ، فهي جامعات بومباي وكلكتا ومدراس ، ولقد كان تأسيسها في منتصف القرن التاسع عشر على غرار جامعة لندن ، ولم تكن في أول الامر سوى مؤسسات للامتحانات لا تحتوي الا على عدد معدود من المعاهد ، ولم تكن تدرس فيها بادىء بدء الا الآداب والعلوم الانسانية دون سواها من المواد الاخرى • وما لبثت الحركة الوطنية أن نمت ، وما لبثت أن ازدادت مشاركة الطبقة المثقفة الهندية في الحياة السياسية ، فألحقت كليات الحقوق بهذه الجامعات وصارت محببة الى نفوس الشعب • وما هي الا أن أحدث معهد العلوم الاقتصادية ، الا أن دراسة الطب والعلوم والفنون تحققت بأكثر بطء لانها تحتاج الى تجهيز يكلف نفقات باهضة • ونجحت هذه الجامعات نجاحا جعل لهنديين يطالبون بالاستزادة من المشاركة في التعليم ، حتى شهد مطلع القرن العشرين نمو مراكز قديمة وانشاء عدد كبير من المراكز الجامعية في مختلف أنحاء البلاد •

ولقد كان من نتيجة ادخال الآراء الاوروبية الى الهند ان تولدت وضعيات لم تغير في الثقافة المظاهر الفنية فحسب ، بل القيم التقليدية في المجتمع أيضا • فدراسة المشاكل التي برزت منذ قرن لم تفض بعد الى حل من الحلول • الا أن هذه المشاكل صارت أقل تشعبا بفضل انهيار جملة من الآراء القبلية •

ومنذ أقدم العصور ، وفي كل المجتمعات ، وجد حاجز بين الطبقات المثقفة والطبقات غير المثقفة ، وقد كانت رغبة غالب « الاوتوبيين » أن يزيلوا هذا الحاجز ، اذ المجتمع الهندي تحت نفوذ عدد صغير من المثقفين الذين وجدوا أنفسهم بين عدد عظيم من السكان ــ رجالا ونساء ــ حرموا حق التعلم منذ قرون بعيدة ، وصاروا اليوم يأملون في أن تتاح لهم فرصة التعرف على هذه التجربة • لا يوجد في الهند غير جامعات قلائل تعتني بدرس مظهر خاص من مظاهر الحياة الهندية ، اذ معظم الجامعات تبث ثقافة يمكن أن نسميها ثقافة غربية فنتج عن ذلك أن قويت شقة الاختلاف بين الهندي المثقف والهندي الذي لم يلتحق بالجامعة ، لان الاول يلاحظ أن أغلبية آرائه بعيدة كل البعد عن آراء الثاني • عبثا نطالب الجامعات العصرية بالاعراض عن هذه الثقافة الغربية لان سوقها نافقة ، ولان المثقفين صاروا لا يعتبرونها ثقافة « غربية » بل « عصرية » •

ولا يزال النقاش القديم قائما حتى اليوم حول تفضيل اللغة الانقليزية على اللغات الهندية ، ولكن هذا النقاش صار اليوم مرتبطا بمسألة أكثر اتساعا ، وهي مسألة تبني لغة قومية هندية • انه لمن المؤسف ، بعد أن أصبحت الانقليزية

اللغة العالمية المهيمنة أن يعرض الهنديون عن تعلمها كما هو الحال اليوم • الا أن شقة الاختلاف بين الهنديين المثقفين وغير المثقفين تنقص نقصانا ملحوظا لو أصبحت احدى اللغات الجهوية (الهنـدية) وخصوصا اللسان « الهنـدى »(*le Hindi*) لغة التعليم في الجامعات وان مثل هذا التقارب لمن شأنه أن يسهل محو ما تكنه أغلبية المثقفين الهنديين من احتقار للاشغال اليدوية ، احتقار تنتج عنه مشاكل عديدة في ميدان الشغل عند ما يفضل عمل في مكتب بسيط على عمل يدوى • ومن الممكن أن تتغير هـذه العقلية اذا ما تطورت الجامعات الهندية شيئا فشيئا الى مؤسسات يمكن للطلاب أن يقيموا فيها ويشتغلوا أيضا •

فمشكلة التشغيل لهـا أهمية بالنسبة للدور الذى ستضطلع بـه الجامعات الهندية في المستقبل • فالشهادة الجامعية وسيلة تسهل الظفر بعمل ، ولهـذا السبب نرى كثيرا من الشبان الهنديين يرغبون رغبة شديدة في الاحراز عـلى شهادة جامعية ، وربما كان هذا هدفهم الوحيد عند ما يلتحقون بالجامعة • وقد تكـون خيبتهم شديدة اذا ما لم يتمكنوا من الظفر بعمل رغـم الشهادات التى يحملونها ، وقد يخشى على الجامعة ـ والحالـة هـذه ـ أن يضعف مستواها وأن تصبح معملا بسيطا لانتاج المثقفين بالجملة ، وقـد يخشى أن تكـون النتائـج النفسانية الناجمة عن هذا الوضع أكبر خطرا على الطالب الذى يختلف الى هذه الجامعة • فمعظم الجامعات الهندية تسير شؤونها الدولة ، وهكذا نرى هذه المعاهد العلمية تضطر الى اعتبـار امكانية التشغيل عند ما يكـون الامر متعلقا بقبـول الطلبة وانشاء كليات جديدة ، وهذا أمر عظيم الاهمية في بـلاد بدأت طاقتهـا الصناعية والفنية تنمو ، ثم سوف لا تلبث أن توفر لا عـددا أكبر فحسب من المنافذ الصناعية بل امكانية استعمال عدد أكبر من الفنون الثقافية أيضا ٪

العلاقة بين الجامعة والمجتمع في نيجيريا

بقلم : اينى نجوكو

يعود تاريخ التعليم الجامعى فى نجيريا الى عهد تأسيس الكلية الجامعية فى أبادان فى عام 1948 · وقبل ذلك التاريخ ، كان اهتمام سكان نيجيريا بالتعليم العالى عظيما ، كما يظهر من ذلك العدد الكبير من النيجيريين الذين سافروا الى بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية ليتابعوا دراساتهم الجامعية هناك على حساب عائلاتهم أو بمنح حكومية فى حالات قليلة بدأت عام 1940 · وبازدياد اتصال نيجيريا بأوروبا الغربية أصبحت فوائد التعليم العالى جلية لدى النيجيريين ، فقد كان فى وسع شباب نيجيريا الحصول على وظائف جيدة فى الشركات وفى دوائر الحكومة ككتبة أو رؤساء كتبة بعد التخرج من المدارس الابتدائية أو الثانوية · وأما أولئك الذين يتسنى لهم التخرج من الجامعات وهم قلة فقد أصبح فى وسعهم التطلع الى التحصل على وظائف ودرجات عالية فى سلك الخدمة العامة وهى وظائف كانت خلال وقت طويل مضى وقفا على « الاداريين » (الموظفين البريطانيين) · وبنمو الروح القومية فى نيجيريا ازداد الطلب على الشباب النيجيرى لاحتلال المناصب العليا فى الحكومة وقبل تأسيس الكلية الجامعية ، جرت محاولة لمجابهة الوضع الجديد ، وذلك بتأسيس مدرسة مهنية فوق المستوى الثانوى ، ألقيت على عاتقها مهمة تدريب الاساتذة والاطباء والمهندسين المساحين للارض وغيرهم · وقد سميت هذه المدرسة باسم الكلية العليا « يابا » وهى سلف الكلية الجامعية الحالية · ولكن يابا لم تكن لتقطع بالشاب أكثر من نصف الطريق الى التعليم الجامعى · فخريجوها لم يكن يعترف بهم بأنهم مهندسون أو أطباء كاملون فى الخدمة العامة ولم يتمكنوا من التحصل على وظائف « الاوربيين » التى كان طلب النيجريين اليها فى ازدياد مستمر · ووجه انتقاد مرير لكلية يابا ، وبالفعل فأن البعض قد فسر تأسيسها بأنه محاولة هدفها ابعاد النيجيريين فى وضع أدنى من وضع الاوروبيين ولذلك بدأ النيجيريون يطلبون تعليما جامعيا كاملا · وهكذا كان الوضع فى عام 1942 عند ما عين وزير المستعمرات البريطانى لجنة تحت رئاسة الكولونيل ولتر اليوت وعهد اليها بمهمة « رفع تقرير عن تنظيم ومرافق مراكز التعليم العالى القائمة فى افريقيا الغربية البريطانية ووضع توصيات حول تأسيس جامعة فى تلك المنطقة فى المستقبل · وقد أدت توصيات لجنة اليوت الى تأسيس الكلية الجامعية فى أبادان وهى المؤسسة الجامعية الوحيدة فى نيجيريا فى الوقت الحاضر ·

ومن البسطة الآنفة الذكر يتضح لنا أن الرأى السائد حول التعليم الجامعى فى نيجيريا هو أن يكـون هذا التعليم ذا منفعة عملية ٠ وهـذا المفـهوم النفعى للتعليم العالى هام نظرا لعلاقته بمسألة الحريـة الاكاديمية ولمتطلبات المجتمـع النيجـيرى من الجـامعة ٠

الحـرية الاكـاديميـة :

قبل اتصال نيجيريا بأوروبا الغربية ، لم يكـن فى هذه البـلاد روح علمية عريقة قوية ٠ وكان هناك شعراء ومنشدون ولكنهم من القدماء ٠ وأما أولئـك الافراد الذين تعلموا التاريخ المحلى بفضل مساعيهم الخاصة فقد كان ينظر اليهم نظرة احترام خصوصا فى أوقات النزاع ٠ ولكن لم يكن فى نيجيريا علماء كما كان يفهم من هذه الكلمة فى القرون الوسطى ممن كان همهم الوحيد نقل المعرفة وتوسيع آفاقهـا ٠ والعـالم الجامعى الحديث فى نيجيريا هو طراز جديـد من الاشخاص فى نيجيريا لا يتصل بصلة بأى شخص سبقه ولعب دورا تقليديا فى المـاضى ٠ ولذلك فان شرط ازدهـار هذا الطراز من الرجـال الا وهو الحـرية الاكاديمية كان فكرة جديدة بالمرة ٠ وعلى الرغم من هذا كـله فان مبدأ الحـرية الاكاديمية قد قبل فى نيجيريا ، ليس كمبدأ قائـم بحـد ذاتـه ، بـل كجـزء من التنظيم الجـامعى ٠

وطلب النيجيريون جامعة لا تقل جودة عن أى جامعة أخرى توجد فى العـالم وقالوا انه اذا كانت الحرية الاكاديمية عنصرا ضروريا لمثل هذه الجامعات فلتكن موجودة اذن فى الجامعة النيجيرية أيضا ٠ ولذلك فان حكومة الكلية الجامعية فى أبادان قد ألفت عـلى نموذج حكومات الجامعات البريطانية الاقليمية أى أنهـا تأسست من **مجـلس** يتمتع بحكم ذاتى تتألف عضويته من علمانيين وأكاديميين ومن مجلس **شيوخ** مطلق الصلاحيات فيما يتعلق بالشؤون الاكاديمية ٠ ومـع أن مبدأ الحرية الاكاديمية كان قد اعترف به من قبل ، الا أنه من المهم أن ندرك أنه كان عليه أن يبرر نفسه حسب المفهـوم النيجيرى ، وليس من السهـل ضرب الحجة واقناع النيجيريين بأن الحرية الاكاديمية ضرورية لتدريب الايدى العـاملة المهنية التى يتطلبها المجتمع النيجيرى ٠ وعلى العكس ، كما سنوضح فيما بعد ، فان هذا هو السبب نفسه الذى من أجله يجب على الحكومة أن توجه الجامعة التى لا تملك وسائل الادراك والتمييز الكامل وذلك للتأكد من أن الجامعة قائمة على سد حاجيات البـلاد ٠ وأما الحجج الدامغة المبررة للحرية الاكاديمية فهى وان كانت تنطبق عـلى نيجيريا ، الا أنهـا مستقاة من أوضاع أخرى لا توجـد فى نيجيريا ٠ ففى نيجيريا لا يوجد حتى هذه الاونة عالم بكل معنى الكلمة ، كما أن فوائد اعطاء هذا العالم حرية لم تتضح بعد ٠

حقا ، لقد قامت الكلية الجامعية فى أبادان خلال السنين القليـلة من حياتها بعمل جليل ، ليس فى ميدان سد متطلبات البلاد لايد عاملة مدربة فحسب بل وفى ميدان تشجيع الروح العلمية ٠ وها هى نواتها من العلماء فى ازدياد ٠ ولا

ريب أن تأثير هؤلاء العلماء على المجتمع والاحترام الذى سيفوزون به من شأنهما أن يرسخا مبدأ الحرية الاكاديمية فى البلاد · ولكن فى الآونة الحاضرة ما زال مبدأ الحرية الاكاديمية أراه زخرفة تعلق على نتاج أجنبى يصدر للخارج · واذا أردنا أن ندافع عن مبدأ الحرية الاكاديمية بنجاح فى وقت الازمات فمن الضرورى تركيزه وصبغه بالصبغة المحلية ·

الجامعـــة والمجتمـــع :

ليس من الصعب فهم السبب الذى من أجله وجدت فكرة جعل التعليم فى نيجيريا نفعيا · فالبلاد تجد نفسها متأخرة كثيرا عن الامم الحديثة فى العالم · ومن الواضح لزعمائها أن أسرع طريق لتطوير البلاد وجعلها عصرية والوصول بها الى مستويات الرقى الحالى فى العالم هو تدريب أكبر عدد ممكن من الشبان النيجيريين لوضع برامج التطور الضرورية وتنفيذها · ولذلك ليس من العجب أن نجد أن النيجيريين لا يتحملون أى تأخير أو أنهم يحكمون على نجاح الكلية الجامعية بمقياس عدد الطلاب الذين يتخرجون منها كل عام · ومن سوء الحظ أن لا تستطيع الكلية الجامعية من استيعاب الا عددا قليلا من الطلاب نظرا لارتفاع تكاليف بناء العمارات الجديدة وحاجة الكلية الى المحافظة على المستويات التى تضعها لها جامعة لندن · ولكن الوضع آخذ فى التحسن بسرعة ، ولربما وصل عدد الطلاب الى 1500 طالب فى عام 1960 · ولكن لو حدث هذا التطور فان معظم المسؤولين عن شؤون البلاد يرون فى هذا التقدم مجرد نقطة ماء فى بحر ، خصوصا اذا أخذنا بعين الاعتبار بأن كلية أبادان هى المؤسسة الجامعية الوحيدة فى البلاد · وهذه القلة فى عدد الخريجين تجعل من السهل توجيه انتقاد للجامعة · وبما أن معظم أموال الكلية الجامعية تأتى من الحكومة ، وبما أن عدد الطلاب لا يمكن زيادته ما لم تقدم الحكومة للمعهد أموال اضافية ، فان بعض اللوم يقع على عاتق الحكومة · ولكن بعض الناس الذين يعيشون خارج نطاق الجامعة لا يشعرون دائما بأن البلاد تستفيد من المال الذى ينفق على الجامعة الى أقصى حد من الاستفادة ·

وبالاضافة الى مسألة الطلاب ، فثمة ناحية من نواحى تطور الجامعة ، قد لفتت اليها أنظار العالم الجامعى ألا وهى توسيع نطاق الفصول الدراسية القائمة وادخال فصول جديدة · وقبل أن تنشأ الجامعة معهدا للتربية وكلية للاقتصاد كان هذا الموضوع مدار نقاش عام وهياج نسبى · وفى بلاد كنيجيريا تغلى بالمشاكل الاجتماعية لمجتمع غير متجانس ، يستحسن أن يكون فى جامعتنا فصول لدراسة العلوم الاجتماعية · وعلى كل فان الجامعة قد بدأت تظهر أنها أكثر احساسا بحاجات المجتمع النيجيرى مما كانت عليه فى الماضى ، على الرغم من أنها لا تزال عرضة للانتقاد من هذه الناحية ·

ولربما نشأ خلاف بين الجامعة والمجتمع النيجيري حول مشكلة زيادة عدد الطلاب وزيادة عدد الفصول الدراسية • أما الجامعة فليس لديها وسائل لتمويل هذه التطورات المطلوبة ولكن مع هذا كله فيجب أن تسبق البلاد بخطوة فى اعطاء اهتمام جدى لهذه المشاكل اذا أرادت أن لا تعرض الحرية الاكاديمية الى أخطـــار •

المشـاكـل الخـاصـة فى نيجـيريا :

1 ـ الفـروق اللغـوية والثقـافيـة :

أ ـ المجتمع النيجيري هو مجتمع غير متجانس مؤلف من عدة قبائل ومجموعات تتكلم كل واحدة منها بلغة محلية خاصة • وتشترك هذه الفئات أو المجموعات بشيء كثير من الناحية الثقافية ولكنها تختلف كثيرا بطرق حياتها وعلى الاخص بلغاتها مما يجعل صعبا خلق شعور بأنها تؤلف أمة واحدة • وهذه المصاعب تؤثر على الجامعة • وبما أنه لا توجد لغة مشتركة بنيجيرية فان التعليم فى الجامعة لا يمكن الا أن يكون باللغة الانقليزية كما أن اتصال الطلاب بعضهم ببعض يكون فى أغلب الاحيان باللغة الانقليزية • ومن ناحية أخرى فأنه على الرغم من وجود ارث غنى فى ثقافة كل فئة من فئات المجتمع النيجيري ، الا أن العناصر المشتركة لهذه الثقافات لم تجمع بشكل كان يجعلها فى قالب تدرك مختلف الفئات أنه يؤلف أرثها المشترك • ولذلك فان النشاط الثقافى فى الجامعة كالادب والدراما والموسيقى والفنون فى معظمه أوروبى •

والنتيجة العامة لكل هذه العوامل هى أن تظهر الجامعة بمظهر المؤسسة الاجنبية أكثر مما هى عليه فعلا وتكون موضع انتقاد الوطنيين ، وليس الذنب ذنبهـــا •

2 ـ العلاقات بين الاجناس :

بما أن عدد النيجيريين المؤهلين للتعليم فى الجامعة هم قلة ، فقد كان من الامور المحتومة أن يكون معظم أعضاء هيئة التدريس فى الجامعة من « المغتربين » (أى من غير النيجيريين) • وهذا يعنى أن مجلس شيوخ الجامعة وأغلبيته الساحقة من المغتربين كان عليه أن يقوم بمهمتين ذات بال أولاهما تعيين الاساتذة والمحاضرين ووضع مناهج التطور الاكاديمي • وهذا جعل مجلس الشيوخ عرضة الى الاتهام بأنه لا يسعى الى درجة ضافية وراء خدمة مصالح النيجيريين لا فى التعيينات الجديدة ولا فى تخطيط التطور الاكاديمي • لقد قبلت الحكومات النيجيرية المتعاقبة مبدأ « نيجيرة » الوظائف العامة أى عدم تعيين شخص غير نيجيري فى منصب الا اذا لم يوجد نيجيري لشغل هذا المنصب • وتبنى مجلس الجامعة هذا المبدأ بعد ادخال تعديل طفيف عليه وهو : « عند التعينات فى المناصب الجامعية يجب اعطاء اعتبار خاص للنيجيريين الى الحد الممكن تشريكه أن

لا يؤثر ذلك فيخفض المستويات الاكاديمية • وبما أن مجلس شيوخ الجامعة هو الذى يشرف على تنفيذ هذه السياسة وبما أن أغلبيته من المغتربين الاجانب فثمة دائما شك بأن المجلس لا ينفذ السياسة هذه بأمانة • وفى بعض الاحيان تظلم بعض أعضاء هيئة التدريس من النيجيريين بأن ترقياتهم لم تكن سريعة لدرجة تتماشى مع مبدأ « نيجيرة » الوظائف العامة أو أن مجلس شيوخ الجامعة لا يضع تخطيط التطور الاكاديمى على الشكل الذى يرتضونه • وفى كلتا الحالتين ، تبدى ميل لادخال ضغط سياسى خارجى • ومن الواضح أنه يجدر بالعلماء النيجيريين أنفسهم أن يقاوموا الميل لادخال السياسة فى ميدان العلم • فاذا استخدم الضغط الخارجى ضد مجلس شيوخ من المغتربين فأن هذا سيمهد الطريق لاستخدام نفس النوع من الضغط ضد مجلس شيوخ نيجيرى وعندها تضيع الحرية الاكاديمية فى أول مراحل حياتها •

3 ـ جامعات أخرى :

هناك اقتراحات بانشاء جامعات أخرى فى نيجيريا ، ومن الواضح أن جامعة واحدة لا تكفى لبلاد واسعة كنيجيريا • وهذه الاقتراحات جاءت من أوساط الحكومة لان الحكومة وحدها تستطيع تمويل التعليم الجامعى فى نيجيريا اليوم • ولكن من المهم بالنسبة الى الحكومة وهى تضع الخطط لانشاء جامعات جديدة أن تمتنع عن فرض آرائها على هذه الجامعات فرضا والا فأن الحرية الاكاديمية تصاب بنكسات خطيرة لا تؤذى الجامعات الجديدة المقترحة بل تضر أيضا الجامعات الحالية • ومن بشائر الخير أن الحكومات المعنية تسعى الى التحصيل على آراء الخبراء الجامعيين من الخارج مما يجعلنا نرجح بأن الحرية الاكاديمية ستكون مضمونة •

الخلاصة :

وأخيرا فأن نيجيريا ستصبح دولة مستقلة فى عام 1960 • ولا شك أن هذا الاستقلال سيأتى معه بمشاكله الخاصة • وخلال هذه الفترة ستدرس الهيئات المسؤولة فى نيجيريا أفكارا وآراء جديدة ، فتقبل المفيدة منها وترفض الاخرى • لقد أظهرت نيجيريا مقدرة على التكيف وطاقة فى تقبل الافكار القيمة حتى ولو كانت أجنبية • وكما أنه فى الميدان السياسى ، قبلت نيجيريا الديموقراطية البرلمانية المزدهرة الآن فيها ، فليس ثمة من سبب يحول دون أن تتعمق جذور الحرية الاكاديمية فى تربة نيجيريا ، اذا تسنى لهذه الحرية رعاية وعناية ملائمتين ٪



سيادة الرئيس يستقبل ممثل نيجيريا

الثقافة والمجتمع في نيجيريا

بقلم هـ. أولي وشايي

الثقافة الاسلامية التقليديــة

قبــــل أن اتصدى لدرس هذا المشكل الحيوى المتعلق بحرية الجامعات بافريقيا الغربية بودى أن ألفت الانتبـاه فى سرعة الى التـأثير العظيم الـذى تتمتع به الطبقة الاسلامية المثقفة والى التاصل الثابت للثقافة الاسلاميـــة والعربية فى نيجريا الشمالية · فمنذ العهد الذى كان يهيمن فيـه ملـــوك صنقاى *Songhai* على امبراطورية تمتد من الشاطىء الاطلسى غربا الى أبواب كانو سيتى *Kanocity* شرقا ، بث المثقفون المسلمون القادمون من صنقور *Sankore* وجنا *Jenna* ثقافتهم فى كل انحاء السودان الغربى فنشا من هذا الوضع علمـاء نيجيريون نذكر من بينهم عثمـان · دان · فوديو والسلطان بلو · ومن حسن الحظ ان احتفظت لنا مكتبة المعهد الجامعى فى ابدان باكثر من خمسين مؤلفا للسلطان بلو تحتوى على بحوث فى مواضيع شتى · ولنا اليوم فى نجيريا الشمالية علماء درسوا الكلام والفقه الاسلامي ، وهم الذين يدبرون اليوم الحياة السياسية والاجتماعية فى هذه المنطقة من البلاد· أما السنن الجامعيه الغربية فلا تزال حديثة بنيجيريا وقبول النظم التربوية الغربية قريب عهد فى نيجيريا الشمالية · لهـذا لايتيسر لنـا الآن الا أن نتعرف على مقدار تأثير الثقافة الاســلامية التقليدية عـلى حرية هـذا النظام الثقافى ومسؤوليته · انى لا أشك فى أن هـذه الثقافة ستؤثر فى مستقبـل الايام فى نيجيريا الشمالية · ما هو الاتجاه الذى ستسير فيه هذه الثقافة ؟ هذا مما لايمكن لى أن اتكهن به ·

تأثير معهـد فوراه باى

لا بـــــد من أن نشير هنا الى أن معهد فواره باى قد تكفل طيلة قـرن أو يزيد ـ قبل انشاء معاهد الجامعة الجديدة بغرب افريقيا ـ بانجاب العناصر الاساسية اللازمة للتكوين الجامعى منذ ثلاثة أجيال فى غرب افريقيا ·

وكان مؤسس هذا المعهد « جمعية ميسيونرى شورش »

Church missionary Society سنة 1827 • ثم انضم الى معهد درهام سنة 1876 وأعد طلبته لدبلوم « الباكالوريا فى الفنون » • فمعهد فوراه باى هو أول مؤسسة غرب افريقية ضمت – ولا تـزال تضم – طلبة معظمهم من جميع أنحـاء افريقيا الغربية البريطانية • فلقد تثقف فيه وتخرج منه عـدد عديد مـن الرؤساء والمثقفين الممتازين بهذه الجهات ، ويحسن أن نلاحظ – من الوجهة التاريخية ان الاعضاء الثلاثة فى لجنــة التعليم العالى بافريقيا الغربية هم من قدماء طلبــة معهد فوراه باى وهم : عضو من ساحل الذهب ، وثان من نيجيريا وثالث من سيرا ليون *Sierra Léone*

المثقــف النيجيـــرى

لا يختلف العالم النيجيرى اختلافا يذكر عن زملائه بالغرب اذا ما اعتبرنا اتجاهه العقلى ونظرته الثقافية • فهو قد تكــون علميا حسب التقاليد الجامعية البريطانية والاوروبية والامريكية • فالعالم النيجيرى ، كزميلــه الغربــى ، يؤمن صادق الايمان بمبدا الحرية الثقافية وهو متعلق ثابت التعلق بحريـــة التعليم والبحث المستقل •

الا ان المثقف النيجيرى نتيجة التقاليد الجامعية الغربية ونتيجة فريدة فى الوقت نفسه لسنة اجتماعية وثقافية يعوزها الانسجام والوحدة الاساسية ففى نيجيريا – حيث الشعور القبلى أو القومى يساوى فى ثبـوته – أو يفـوق ثبوت الاخلاص الذى يكنه الناس نحو مهنة أو اتجاه فطرى لاتزال سنـــة الحرية الثقافية – أو مبدا الحرية الثقافية – غير ثابتة ثبوتا يمكن معه الوقوف فى وجه مقتضيات القبلية وملابساتها المهيمنة هناك •

لذلك قد يكون من الصعب فى بلاد ترمى فيهــا الادارة المتركبة من أجنــاس عديدة بالتمييز العنصرى أن لاتتهم ادارة افريقية خالصة بالافراط فى تفضيل الاقربين وبالعصبية الثقافية • وهذا الوضع لايقل خطره على الحرية الثقافية فى نيجيريا وفى افريقيا الغربية عموما ، عن خطر التمييز العنصرى فى انحاء أخرى من افريقيا • ومن حسن حظنا – نحن النيجيريين – أن كان لنا دستور يفرض علينا « تشجيع جميع الطبقات وكل المجموعات بدون تفـرقة عنصرية كى تتبع سياسة تحررية فى التعليم » • ولقد كان قبول الطلبــة وتعيـــين الاساتذة فى أبدان أسطع دليــل على تطبيق هذه الوصية المسجلة فى دستورنا الا أن قصور عدد عديد من المثقفين النيجيريين عن الاقـــلاع عن الحـزازات العنصرية قد يكون سببا فى خرق الدستور ، وفى الحط من قيمة التعليم وفى

التحقير من نفوذ المثقف واهميته فى مجتمع فتى ولكنه غير منسجم • فاذا استمر هذا الوضع حتى يظفر الافريقى بالاشراف على الجامعة ، فقد يكون هذا المعهد الثقافى أقل استعدادا للاضطلاع بمهمته : مهمة مؤسسة عالية من شأنها أن تكون الشخصية الوطنية فى كنف جو ثقافى دعامته الأمن والطمأنينة

هذا المشكل الذى أثرته الآن يزيد تعقدا اذا ما اعتبرنا سياسة الاحزاب فى نيجيريا : فهى سياسة فى خدمة العصبية القبلية والحزازات الشعوبية فالرغبة الملحة عند جم غفير من المثقفين (وهو فى الحقيقة أمر يفرضه المجتمع عليهم فرضا) فى مناقشة المبادىء السياسية (وهذه مهمة الجامعيين الاصلية) وفى المشاركة مشاركة فعلية فى تطبيقها أيضا تقودهم طبعا الى ان ينضموا الى حزب من الاحزاب ، والخلافات بين هذه الاحزاب ناجمة عن شعور قبلى اكثر منها عن مذاهب فكرية • لذلك كان دخول المثقف النيجيرى فى الحياة السياسية العاملة ناجما عن اتباعه الحزب الذى يكثر فيه من كانوا على شاكلته (الشاكلة الاجتماعية لا الفكرية) • وقد يكون الانضمام الى حزب من الاحزاب امرا صريحا ظاهرا فى بعض الاحيان ، وقد يكون خفيا فى أحيان أخرى • وكانت نتيجة هذا الوضع تصدع المجموعة السياسية واعراض الطبقة الممتازة فى مجتمعنا عن مناقشة المبادىء السياسية مناقشة موضوعية وهكذا أضاع المثقف النيجيرى فرصة فريدة فى نوعها كانت تمكنه ــ لو أراد ــ من أن يجعل الجامعة مؤسسة اجتماعية فيها تتحقق وحدة الامة وانسجامها على أساس الاخلاص والتقدم • وبودنا أن نرى ــ لهذا السبب ، ان لم يكن لغيره من الاسباب ــ المثقفين النيجيريين يقلعون طوعا عن هذه السياسة الشيعية •

ومما هو أشد خطرا على حرية الجامعة فى نيجيريا ، ركون المثقف النيجيرى الذى يهتم بالسياسة الشيعية فى حل مشاكله الصعبة داخل المجموعة الثقافية ، الى الاستنجاد بزملاء سياسيين ذوى نفوذ قوى قد يكونون غالبا منتمين الى فرقة عنصرية معينة ، وهنا أيضا قد يكون هذا الالتجاء جهرة وقد يكون سرا • وهذا امر لايخلو من اغراء خصوصا اذا ما قدرنا أن ادارة مؤلفة من عناصر جنسية شتى تقوم على اساس المخادعة وعلى أساس القاعدة المعروفة بتفرق تسد • ولكن تدخل السياسة فى الشؤون الجامعية سلاح ذو حدين • ذلك أنها عند ما تفلح فى التخلص من الادارة الملفقة ستجتهد بدون شك من التنقيص من حرية أولئك الذين لجأوا اليها بادىء أمرهم •

عمل اضافي

من واجب الجامعات الجديدة في افريقيا - سواء أوجدت في مجتمعات افريقيا الغربية المتعددة القبائل ، أو في المجموعات المتعددة الاجناس بافريقيا الوسطى والشرقية - أن تقبل مهمة اضافية وان كانت غير تقليدية مضمونها توفير الاسباب التي تسهل انشاء وحدة وطنية لتقوم مقام الوحدة القبلية والشعوبية • معنى هذا أن هذه الجامعات لا بد لها من أن تستوحي الهامها من البيئة التي تعيش فيها ، معنى هذا أيضا أن تزيد في اعتنائها بالميادين التي تزخر بالمعارف الراكدة ، هذه المعارف التي ستكشف عن عناصر ثقافة مشتركة لجميع هذه البلاد •

النفوذ المالي

وفي نهاية هذا التقرير ، أريد أن أشير الى أن المعهد الجامعي في ابدان قد أفلح في أن يبقى مستقلا استقلالا ثقافيا رغم ما تبذله له الدولة من اعتمادات مادية • وكان من حسن حظنا ان اعترفت الحكومة النيجيرية - منذ البداية - بان تقدم الجامعة يقضي بحرية هذه المؤسسة الثقافية في تقرير مصيرها وتوخي منهاج ازدهارها ، وبان الحرية الثقافية تقتضي الاستقلال المادي في الحدود المرسومة ، وهذا الاستقلال في ابدان يضمنه نظام للتمويل، فترصد الحكومة اعتمادا ماليا كل خمس سنوات لهذا المعهد حتى تبقى له حرية توزيعها على مختلف مصالحه •

الجامعة والمجتمع في افريقيا الوسطى

بقلم بازيل فلاتشر

روديزيا ونيوسالاند

ان حالة المثقفين والعلماء باتحاد افريقيا الوسطى يختلف اختلافا كليا عن حالة اخوانهم فى الاقطار الافريقية الاخرى • ويرجع السبب فى ذلك الى قيام مبدأ التعاون والتئاخى بين جميع طبقات المواطنين السود منهم والبيض على حد سواء ، ذلك المبدأ الذى انبنت على أساسه جامعة « روديزيا » و « نياسلاند » عند ما برزت الى الوجود وأخذت تخطو طريقها السياسى وحياتها كدولة فتية شعارها التعاون والتئاخى لا تميز عنصرى بين مواطنيها ، ولقد أقرت اللجنة البريطانية (لجنة كارسوندارس) هذا المبدأ واقترحت انشاء جامعة موحدة تفتح أبوابها الى كل الطلاب بقطع النظر عن جنسهم ، ومنذ ذلك الحين ، أى منذ خلق هذه الدولة ، أخذ التطور السياسى والنمو الاقتصادى والنهضة الفكرية فى التقدم تقدما سريعا يتزايد مع الايام • وهكذا شعر المثقفون والعلماء منذ بدء نهضتهم أنهم مرتبطون ارتباطا وثيقا بأمتهم وأن أعمالهم ترمى الى تشييد مجتمع سياسى جديد هو منهم واليهم • مجتمع يستوحى أهدافه وجل قيمه من السياسة الديموقراطية التى يسلكها النظام البرلمانى البريطانى القائم على العرف والتقاليد وهو النظام الذى اعتنقته روديزيا الجنوبية منذ خمسين سنة ، كما يستوحى أهدافه وقيمه من الانظمة الخاصة التى تختلف وتتناقض فى أغلب الاوقات من قطر الى قطر وهى الانظمة القائمة فى روديزيا الشمالية وفى نياسالاند الخاضعين للنفوذ البريطانى والتبنى الاستعمارى • زد على ذلك جوار أقطار اتحاد جنوب افريقيا التى تسلك نظاما سياسيا خاصا ولها أساليب جامعية مختلفة اختلافا كليا عن الاساليب السائرة فى غيرها من الاقطار الافريقية

وعلى الجامعة فى كل قطر من أقطار افريقيا أن تنمو وتتقدم فى مجتمع هو فى حالة تطور اجتماعى مطرد سريع • وان جل أسباب هذا التطور واحدة لا تختلف باختلاف الاقطار فى القارة الافريقية لان الاساس واحد والنزعة القديمة واحدة لكن هذا الاساس يطبع بطابع كل قطر ويخضع لخاصياته

والتطور ملحوظ فى كل الاقطار الافريقية ، من ذلك أن مبادىء الغرب من تعاون اقتصادى وتوفير فى الانتاج وغير ذلك مما طلع به الغرب على العالم فى

ميدان الصناعة وميدان التكوين المهنى وسائر أسباب التجديد تحتل شيئا فشيئا مكان التقاليد الموروثة وتزيل النظم القديمة التى كانت تقوم عليها حياة الافارقة الخاضعة للقبلية والانتساب الى عائلة الام او الاب

والناس ينظرون اليوم الى الحياة بمنظار جديد ولهم مفهوم غير المفهوم التقليدى للعلاقات التى تربط سكان المدن بسكان الارياف ولكنهم يتنازعون فى المسائل الخاصة بالنمو الاقتصادى ورفع مستوى المعيشة اذ تختلف عقلياتهم ومشاربهم لما بين التفكير الافريقى من اختلاف وفروق متأصلة فى قرارة النفوس عند هؤلاء وهؤلاء مما يجبر المثقفين الجامعيين رغم حيادهم فى النزاع أن يبحثوا عن الطرق الودية الى التقدم مع الاحتفاظ بأثمن ما خلفه لهم تراثهم الثقافى

ويشتد النزاع فى الميدان السياسى والجامعة وان أقرت مبدأ اللاحزبية فى السياسة وهو رأى له مكانته ووجاهته بالنسبة اليها كجامعة فان وراء هذا الموقف الحيادى يختفى كما وراء ستار تأثيرات لنزعات سياسية ثلاث خاصة بالسلطة لكل نزعة معتنقين وأنصار ، فمنهم من يتمنى أن يصبح الاتحاد رابطة شعوب مختلفة الاجناس يجد فيها الاسود والابيض على قدم المساواة مكانه وسعادته ويمسك بزمام السلطة فيها الاكثر كفاءة والاكثر اخلاصا بقطع النظر عن جنسه ولون بشرته وهذا هو الفريق الاوسط والى جانبه فريقان يؤمن أنصارهما فى قرارة نفوسهم أن لا بد من تفوق جنس على الآخر ، الابيض والاسود النزعة او يجاهرون بها ولكنهم فى كل الحالتين جد عاملون على الوصول الى هدفهم ، ومن المعلوم ان هذين الفريقين متأثران سواء بمذهب قومية البيض وتفوقهم على السود الفاشى فى اتحاد جنوبى افريقيا او بمذهب قومية السود ومبدأ تفوقهم على البيض كما هو الحال فى بعض أقطار افريقيا كغانة والسودان ٠

انشاء جامعة ساليسبيرى وتقدمها

الحجر الاساسى الذى تنبنى عليه الجامعات هو التراث التقليدى الذى يتوقف عليه كل مجهود يرمى الى المحافظة على حرياتها وذاتيتها رغم كل العراقيل والقوى المضادة التى تعترض العالم الحاضر فى تقدمه وهذا التراث التقليدى ـ الذى هو بمثابة قوة استقرار وتوازن ـ ينبعث من منابع شتى يرجع الفضل فى كشفها الى فريق المثقفين بمعهد ساليسبرى

فهذا المعهد كغيره من فروع جامعة لندن يعمل وفقا لتوصيات لجنة كارساو ندارس فيعتمد فى كل اشغاله على تقاليد الجامعة البريطانية وتجاربها الى جانب سيره الحثيث نحو الهدف الذى يصبو اليه وهو ان يصبح بدوره جامعة لها شخصيتها وحريتها المطلقة وبموجب هذا الاتصال بجامعة لندن احرز المعهد على اعانة قدرها مليونان وربع مليون « ليفر سترلين » وأكبر دليل على هذا التعاون لوحة من البرنز معلقة على أحد الجدران فى بهو المعهد مكتوب عليها بأحرف بارزة « من شعب بريطانيا العظمى الى شعوب الاتحاد »

وللمعهد علاقات متينة في البلاد نفسها وله أنصار كثيرون يسمون « احباء جامعة روديزيا » يسعون جهد طاقتهم الى جمع ربع مليون ليفر استرليني في مدة اثنى عشر سنة والكثير من هؤلاء الاحباء قد زاولوا دراساتهم العليا في جامعات افريقيا الجنوبية في عصر كانت تقاليد هذه الجامعات لا تختلف في شيء عن تقاليد الجامعات الاروبية الغربية اذ أخذت عنها تلك التقاليد وطبعت بطابعها وان هذا العون المحلي قد خيب الجامعة ليست نتيجة لعطاء الحكومة وسخاءها أو صنيعة المبشرين المسيحيين ولكنها ثمرة جهودهم الجبارة ونتيجة لنخوتهم ونشاطهم ومساعداتهم ٠

وتتمتع الجامعة الافريقية بنفس الحريات الاساسية التي تتمتع بها الجامعات الغربية ولها في ذلك ضمان يسمى « الوثيقة الملكية للمعهد » ختمته الملكة سنة 1955 وتشير هذه الوثيقة فيما يخص نفقات المعهد أن الحكومة الاتحادية التي كانت تقدم الى المعهد في كل خمس سنوات منحة تقدر حسب النفقات السائرة العادية يجب أن تقل من قيمة تلك المنحة وتطالب حكومات المناطق والبلديات والمنظمات الخاصة بتقديم قسط أوفر من المساعدة الى الجامعة ، وقد قال الملك هنري الثاني بخصوص الجامعات : « اعتقد ان ما من أرض في انجلترا اسندت الى اقامة مشروع ، افضل من الاراضي التي أسندت الى جامعتنا لان في بقاء الجامعة وازدهارها ما يضمن لمملكتنا حكمة القيادة دهرا بعد أن نموت ونقبر » ولا شك أن آباء حي ساليسبيري قد عملوا بهذا الرأى السعيد عند ما أهدوا للجامعة أكثر من مائتي هكتار من أحسن الاراضي الواقعة على سفح جبل « بليزانت » تسلمها المجلس التشريعي في روديزيا الجنوبية باسم الجامعة

ومن جهة أخرى فان كل بلديات روديزيا الشمالية والجنوبية ـ وعددها يربو عن الاربعين ـ تشارك اليوم في نفقات الجامعة مشاركة فعلية ، زد على ذلك ما تقدمه أكثر التعاضديات الصناعية المزدهرة في اتحاد افريقيا الوسطى من جليل المساعدات لتوفير مداخيل الجامعة تلك المداخيل التي تضمن للجامعة اليوم استقلالا ماليا لا يستهان به ، ولاشك ان الاعانة المادية والمساعدة المالية التي تقدم الى الجامعة خاصة في بلد حديث فتيء بالمسؤوليات التي تنجر عن الحكم الذاتي ٠

المعهد الجامعي والاتصال بين الاجناس البشرية :

لقد نشأت روديزيا في التاريخ على أثر قدوم معمرين من اتحاد جنوبي افريقيا ولم يقع بين سكان البلاد ومن طلعوا عليهم في بادىء الامر اتصال او تعاشر لكن تبدلت الحال بعد ذلك شيئا فشيئا وأصبح التعاشر الاجتماعي ممكنا ، والجامعة اليوم عاملة على خلق هذا التعاشر وهذه الالفة البشرية بين الاجناس على اختلاف ألوانهم ، فرئيس الجامعة واعضاده الاثنى عشر لاينفكون عن خلق جو الحياة الجامعية في المعهد وما يتبعه من « محلات السكنى » حيث يقيم الطلاب ويعيشون جنبا لجنب ماعدا من ترخص لهم الاقامة في منازلهم

الخاصة بساليسبيرى لاسباب معينة ، وبذلك استطاع هؤلاء المثقفون أن يصلوا الى هدفهم رويدا رويدا بدون ان يفرضوا ارائهم او يطبقوها بصورة جافة او نظرية ، ففى نهاية السنة الدراسية الثانية ضبط عدد سكان الحى الجامعى كما يلى :

١٠١ : ساكن أروبى ـ ١٩ : افريقيا ـ ٣ : هنود ـ وطالب آسيوى

ومن جهة اخرى فكل النساء يقمن فى جناح خاص الى جانب جناح معهد للطلبة الاروبيين وجناح آخر يسكنه الطلبة على اختلاف اجناسهم والوانهم ويبدو هذا الحل قد لاقى رضى الجميع وبدا يأتى بنتائج طيبة ، فالطلبة اليوم رغم اختلافهم الجنسى يتحاكون ويتعاشرون بكل ارتياح وبصورة طبيعية سواء كان ذلك فى قاعات الدراسة أو فى دور التحليل أو فى ساحات الرياضة والالعاب الجامعية فهم يعيشون جنبا لجنب على صعيد واحد ويتناولون طعامهم فى قاعة واحدة ويلعبون ويمزحون معا وان سنحت لهم الفرص وفسحة الارجاء الحلوة والتباعد ونتج عن كل هذا جو اجتماعى وفكر جماعى وحياة جديدة يرتمى بين أحضانها الشباب ويستطيبون فيها لذة العيش الجماعى التى يجدونها عند مغادرة قاعات الدراسة وبعد الساعات المضنية التى يقضونها فى الجد والبحث والتنقيب الذى يتطلبه كل عمل جامعى والجامعة فى هذا الميدان ـ اى ميدان الالفة واتصال بين مختلف الاجناس ـ تسبق الفكر العام والعادات المعروفة فى مجموع أقطار الاتحاد وهذه ولاشك بادرة طيبة وخطوة حميدة لازمة لان الجامعة كما لايخفى تعمل على تهيئة الجيل الصاعد لخطط القيادة التى يتطلبها مجتمع يريد أن يكون مبنيا على مبدأ الالفة متشبعا بروح التعاون بين الاجناس فى جميع ميادين النشاط والحياة الاجتماعية ٠

الجامعة فى جوها الاجتماعى :

تقوم الجامعة بخطط ثلاث : التعليم والبحث والتوجيه الفكرى فى المجتمع الذى تعنى به وهذا النشاط بوجوهه الثلاثة تقوم به الجامعة فى ميدان العلوم النظرية والقيم المثلى او فى ميدان تطبيق النظريات ومن وراء ذلك جلب النفع للمجتمع فكل ما يطرق فى قاعات التدريس من مواضيع وبحوث أما خاص بالمواضيع نفسها وبطريقة تحليلها وطرقها واما له علاقة بحاجيات المجتمع كتكوين الاطارات من اداريين وأساتذة ومدربين فلاحيين ومهندسين الى غير ذلك ممن تحتاج اليهم البلاد وتتوقف عليهم نهضتها وعلى هذا الغرار تكون البحوث التى يقوم بها الطلاب أما نظرية بحتة تتعلق بمسألة نظرية صرفة كالبحث عن حقيقة الاشياء بدافع البحث والتنقيب على الحقيقة لاغير واما تكون البحوث تطبيقية ينتج عنها نفع مادى على المجتمع كالبحث عن وسيلة تمكن من فض مشكلة اجتماعية ٠

اما التوجيه الفكرى (أو القيادة الفكرية) فاما أن يكون مباشرا كالوعظ لايقبل مناقشة بل يفرض فرضا واما أن يكون نتيجة لاتصالات كثيرة واجتماعات عديدة تقوم بها الشخصيات الجامعية مع رؤساء الطبقات الاجتماعية المختلفة خارج الجامعة كما يقع ذلك فى القرى والارياف ·

وبذلك استطاعت الجامعة فى افريقيا الوسطى أن تساير أغلب الجامعات الغربية وان تنجح مثلها فى توحيد الخطتين التى ينبنى على أساسها النشاط الجامعى ، خطة التعليم وخطة التوجيه والقيادة الفكرية ــ وكما تؤثر الجامعة على المحيط الاجتماعى فان حيوية الشعب الفتى والحركة التقدمية التى تقوم عليها نهضتها والنخوة الشعبية والنشاط الذى يتزايد مع الايام ويأتى بالانجازات الجديدة المثمرة كل هذه الحيوية التى تتصف بها اليوم شعوب اتحاد افريقيا الوسطى تأثر بدورها على الجامعة وتساعدها فى مهمتها وبذلك تمت اللحمة وتمتنت الروابط منذ البداية بين أفراد مجتمع متيقظ موقن بتطوره عامل على توفير أسباب التقدم ·

التعليـــم الجامعى :

ان أول قرار اتخذته جامعة روديزيا عندما شرعت فى تحوير نظام تعليمها هو تعديل نظام الدخول الى الجامعة وربطه بالقيود المفروضة فى جامعات بريطانيا وبذلك أصبح الدخول الى الجامعة أعسر مما كان عليه وما هو عليه الآن فى كل جامعات افريقيا الجنوبية والشرقية والغربية ·

من نتائج هذا القرار ما اتخذته المعاهد الثانوية فى كل الاتحاد من قرارات تقضى بتمديد سنى الدراسة الثانوية عاما أو عامين وقد أجابت كل المعاهد الى هذه الرغبة الملحة التى أبدتها الجامعة وكان لهذا القرار تاثير بالغ على نظام التعليم فى جميع أقطار الاتحاد ·

وقد شرعت الجامعة فى نفس الوقت فى توسيع نظامها الداخلى نفسه فأنشئت كليات الآداب وأخرى للعلوم كما فتحت أبوابها للتعليم المهنى لما رأته من ضرورة تكوين الاطارات تكوينا سريعا فى ميدانى التعليم والحسابات وقد ساعدت هذه الدروس على تكوين أساتذة محرزين على شهادة المعهد التحقوا بالمدارس الثانوية واحتلوا ما يربو عن ستين منصب منصب استاذ كانت شاغرة كما ساعدت دروس ضبط الحسابات على تكوين طبقة من الشبان سيحتلون فى بلادهم الفتية مناصب القيادة فى ميادين الصناعة والتجارة والبنوك لما توفرت لديهم من الخبرة والكفاءة ويجدر أن نلاحظ ان هذه الدروس التكوينية ستتوج عن قريب بشهادة جامعية فى الحقوق والحسابات والعلوم

الاقتصادية ربما سميت شهادة « العلوم الاقتصادية التطبيقية » وهكذا تصبح الدروس التى لم يكن يرجى منها بادىء ذى بدء غير النفع وزيادة التكوين تعليما راقيا يتصل بالتعليم الجامعى يفتح آفاقا شاسعة جديدة فى وجه الكثير من الطلاب ٠

وقد انشأت الجامعة بعد مرور عام واحد على تكوينها مدرسة فلاحية كانت اول مدارسها الصناعية وقد دفعها الى ذلك ما تحتله الفلاحة من مكانة فى الحياة الاقتصادية ولم يمض وقت طويل حتى قرر المزارعون والفلاحون داخل نقاباتهم أن يأخذوا على عاتقهم كل التكاليف والنفقات التى تنجم عن انشاء كلية فلاحية وقد شرعوا فى جمع الاموال لانجاز هذا المشروع بعد خمس سنوات ولم تمض الا سنة واحدة ولكن الفلاحين جمعوا جل هذا المبلغ الهائل وهم يتاهبون الى قطع المراحل والشروع فى انشاء كليتهم الفلاحية ٠

ومن المظنون ان تكون ثانى المدارس الصناعية من هذا القبيل مدرسة لتكوين المهندسين فصناعة المناجم من اهم موارد البلاد زد على ذلك ما ينتظر من تقدم صناعات جديدة مختلفة يرجى منها كل خير تستعمل فيها الطاقة المائية الكهربائية التى ما انفك المهندسون يوفرون لها الاسباب ويستكشفون لها مصادر جديدة والحكومة بصدد النظر فى مشروعين او لهما خاص باحداث كلية الطب والثانى بانشاء معهد لتكوين المهندسين ومن المحتمل ان يقع الاختيار فى آخر الامر على انجاز المشروع الذى يتوفر المال اللازم لانجازه بقطع النظر عن حاجة البلاد اليه فالمسالة هنا مسالة اعتمادات مالية قبل كل شىء وهذا ــ ولا شك ــ أمر يؤسف له ولكن الجامعة مدفوعة اليه بدافع الضرورة اذ لا يخفى أن الجامعة لا يمكنها أن تنشىء مشروعا وتقيم مدرسة فنية من هذا القبيل اذا لم يتوفر لديها المال الكافى الذى يتطلبه انشاء تلك المدرسة والا اصبح الانجاز الجديد عالة على كاهلها يعيش على حساب المؤسسات القديمة فلا يفيد ولا ينفع ٠

البحوث فى الجامعة :

لقد أحسن معهد سالسبيرى فى جلب رؤساء الاثنى عشر قسما التى تتركب منها الجامعة ، فبذلك تمكن الاستاذة من التعرف بالبلاد ومن اقامة عناصرها بحوثهم واعدادها وتسطير البرنامج لتطبيقها ٠

وقد لاحظ هؤلاء الباحثون ان كثيرا من المصالح الدولية قد سطرت من جهتها برامج بحوث متفرعة وان مثل هذا البرنامج قد قامت باعداده منظمات حرة كل فى مناهجه وحسب مصالحه الخاصة المعينة ، ومن هذه المؤسسات الخاصة معهد رودس ليفنكستون للبحوث الاجتماعية ومكتب البحوث الخاصة بنبات التبغ وجمعية مقاومة السل كما لاحظ هؤلاء الاساتذة ان صناعة المناجم

وغيرها من الصناعات قد شرعت بدورها فى بحوث كثيرة تقوم بها لجانهــا المختصة المسماة « مصالح البحوث والتقدم » وان هذه البحوث تشمل ميادين شتى منها الجيولوجيا والمناجم والكيميا الصناعية وبصورة اجمالية فقد شرع فى بحوث شتى لها مساس بحاجيات المجتمع ومشاكله الخاصة وقام بهذه البحوث مصالح كثيرة ومؤسسات متنوعة مختصة فى الاحوال الجوية وفى الفلاحــة بجميع فنونها من علم نبات وكيمياء فلاحية واقتصــاد فلاحــى وفى الشؤون الصحية وفى دراسة المناجم وطبقات الارض وفى علم الاحصاء والصناعةوالرى والشغل والغابات والصيد البحرى والموارد الطبيعية وغير ذلك من الدراسات التى تشمل جميع ميادين النشاط

وبذلك استطاع اساتذة الجامعة ان يوجهوا عنايتهم الى المسائل التى لــم تطرق قبل ولم يقع البحث فى شأنها فسطروا برامجهم عــلى ضوء ما شاهدوه من الاعمال وفتحت امامهم السبل فلم يضيعوا الوقت سدى

ولم تقم الجامعة بادىء الامر بمثل هذه البحوث لخروجها عن النطاق الدراسى كالبحث فى الايزوتوب والمواد الذرية والنووية او البحث فى النباتات الافريقية ولكن لم تلبث الجامعة ان سخرت اقسامها الى خدمة المجتمع الذى تعيش فيــه وان خرجت فى برامج البحوث لكامل اقطار الاتحاد •

وبهذه الصورة قام اساتذة الجامعة الملحقين بالبحوث العلمية فيها باعــداد ما يقرب من أربعــة وثلاثين بحثــا ودراسة وان المساعدة التى قدمتها الجامعــة للمجتمع وخدمتها للصالح العام وتفانيها فى العمــل أفضل مساعدة وأنفــع خدمة وان رجال الحكومة وأربــاب الصناعة لم يقتصروا على الشكر والثنــاء بل ساعدوا الجامعة بالمنح الكثيرة وبما أبدوه من التفهم واللين نحوها فيما يخص مطالبتها بالحرية والاستقلال الذاتى والتمتع بكامل حقها فى تسيير شؤونها •

ويجدر ان نلاحظ ايضا ان الجامعة فى ميدان البحوث وخاصة فى البحــوث المتعلقة بالعلوم الاجتماعية قد بذلت جهودا جبارة الى جانب الجهود التى بذلتها الحكومة فى نفس الميدان وقد انشا مجلس الجامعة لجنة خاصة للبحوث فى العلوم الاجتماعية ، وتقوم هذه اللجنة بمناقشة المواضيــع والنظــر فى الوثائــق والمشاريع واستخلاص خط الوصل بــين مختلف البحوث ، كما تقوم اللجنــة باستدعاء الاختصاصيين المنتمين الى الادارة او الصناعة او المكلفين ببحوث خارجة عن نطاق الجامعة لحضور جلساتها والمشاركــة فى مناقشاتهــا ليتــم التعاون وتعم الفائدة

وقد اعدت اللجنة برنامجا لاعمال افرادها فيه تفصيل للاهداف ويتضمن هذا البرنامج من جهة أخرى اتجاهات عامة وأبوابا وفصولا تحتوى على أنواع النشاط الخاصة بالبحوث الاجتماعية تحت العنوان العام « التقدم الاجتماعى فى الاتحاد » وقد قامت اللجنة فى نطاق هذا البرنامج العام ببحوث شتى تناولت مواضيع مختلفة كالتاريخ الاقتصادى لاتحاد شعوب افريقيا الوسطى ومظاهر الحياة الاقتصادية فى الاقطار الافريقية بجنوب الصحراء واستعمال رأس المال فى التجارة والصناعة ـ ومسألة الانتاج فى الاقطار الافريقية ـ وتعديل هيكل سكان البوادى ـ والتقدم فى ميدان التعليم الفنى ـ كما اعدت الجامعة فى نطاق لجنتها الخاصة بالبحوث الاجتماعية دراسة مفصلة بعنوان « العلاقات البشرية بين الاجناس وموقف شعوب اتحاد افريقيا الوسطى ازاء مشكلة التمييز العنصرى »

وتقع هذه البحوث فى نطاق البرنامج العام للجنة الاجتماعية التى تعقد حلقات دراسية يشارك فيها اعضاء سلك التعليم بالجامعة والملحقون بالبحوث الاجتماعية فيها وشخصيات رسمية من الحكومة واصحاب المصانع الكبرى وهكذا يقع الخوض فى المشاكل الاجتماعية التى تعرض على مجتمع فى حالة انتقالية سريعة وتقدم الحلول العلمية والمنطقية لتلك المشاكل فى نطاق هذه الحلقات الدراسية الهامة ٠

الجامعة والقيادة الفكرية :

ليست الجامعة هيكلا صناعيا او سياسيا او دينيا ويجدر بها ان تترك هذه المسائل لمن يهمهم الامر ـ أى لارباب الصناعة ورجال السياسة ورجال الدين ـ ولكن الجامعة تؤمن بأن الذكاء أفضل ما يتحلى به العقل البشرى وهو اقرب السبل للوصول الى الحقيقة ورجال الجامعة اذ يستعملون ذاك الذكاء للتعرف على حقيقة الاشياء فانما يخدمون فى نفس الوقت المجتمع الذى خرجت الجامعة من صلبه واذا كانت أشغالهم مجانية لا طمع ولا كسب وراءها فانما ذلك لان أشغالها ترجع بالنفع على المجتمع ٠

لقد كلفت الجامعة فى سنيها الاولى ـ معهد التربية القومية ـ المتفرعة عنها بالاتصالات الخارجية مع شعوب الاتحاد ويتمتع هذا المعهد بحرية نسبية فى ادارة شؤونه فله مديره الخاص مثلا لكن جامعةسالسبيرى مسؤولة على ادارته المالية وتنفق الجامعة عليه من المال المتأتى من العطايا والمنح التى تدرها عليها مؤسسة كارنيجى وفى مقال للجريدة السياسية الاسبوعية « ذى سانترال أفريكان أكزاميز » بحث موجز عن سير هذا المعهد وعن المكانة التى يحتلها فى نظر لفيف الشعب فى اقطار اتحاد افريقيا الوسطى

وقد جاء فى المقال ما يلى :

« انه لمن المحقق ان الدور التى تلعبه هيئة التعليم الجامعى فى حياة اتحاد أقطار افريقيا الوسطى أهم بكثير من الدور الذى يقوم به الطلاب وان أكبر عمل قامت به الجامعة ليتمثل فى ثلاث سنوات قضاها « معهد التربية القومية » فى جهد متواصل وبحوث مستفيضة ـ والمعاهد التربوية نادرة فى افريقيا وعددهم خمسة بينما عدد الجامعات ثمانية وعشرون ، وهذا ما يزيد فى أهمية الاعمال التى قام بها معهد التربية الملحق بجامعة ساليزبيبرى وهو عمل يهدف الى ثلاثة اشياء اولا توحيد اربع جامعات من الثمانية والخمسين الموجودة وجعلها جامعات مركزية ـ ثانيا رفع مستوى التعليم بتعليم المحاضرات والاكثار منها وبتوسيع نطاق البحوث وادخال تحوير جوهرى على نظام الامتحانات . ثالثا العمل على نشر التربية الاساسيةللكهول بتوسيع نطاق المحاضرات » .

وقد قام المعهد فى سنته الاولى بخمسة اجتماعات بحث أثناءها المسائل المتعلقة بتكوين الاساتذة والمحاضرين كما طرقت مواضيع شتى تتعلقبمشكلة التربية وقد عقدت هذه الاجتماعات بين فريق من اساتذة الجامعة وفريق من سامى موظفى الادارة ، ولذلك كانت البحوث التى وقع الاختيار عليها تتعلق بمصالح الفريقين الخاصة . وقد حضر هذه الاجتماعات لاول مرة فى تاريخ الجامعة انصار مذهب تفريق التعليم وادارته بين اوروبيين وافارقة كما حضرها جمع من الاساتذة المتربصين بالجامعة والوزير الاول لرود يزيا الجنوبية ومدير الجامعة نفسه وتبودلت النظريات اثناء هذه الاجتماعات ثم شرعت اللجنة فى تنسيق برنامج عملها وتسطير المشاريع المبدئية للبحوث المزمع طرقها ومن هذه البحوث بحث قام بطرقه معهد التربية القومية تحت عنوان « المدرسة كاداة للتقدم الاجتماعى والثقافى » وموضوع اخر تحت عنوان « بحث المشاكل التى يواجهها التقدم السريع فى ميدان التكوين الفنى باقطار اتحاد افريقيا الوسطى » ـ ولقد عين الفنيون الذين أخذوا على عاتقهم طرق هذه المواضيع على اثر الاجتماعات وبعد ان سطرت اللجنة البرامج المفصلة لتطبيق تلك المشاريع

وفى سنة 1957 انكبت الجامعة على مشكلة ذات أهمية بالغة أصبح من الضرورى فضها بكامل اقطار الاتحاد وهى مشكلة تكوين الاساتذة فاعدت المشاريع لحل هذه المشكلة وتبودلت الآراء وأيقن الناس بضرورة تحوير الوضع الحالى وتدعيم أسس النهضة والتقدم المنتظر ، وقد أحدث لهذا الغرض « حزب الشغل » على نطاق ضيق ليس لاعضائه القلائل أن يعقدوا الاجتماعات ويتشاوروا من حين لاخر ، ولكن هذا الحزب رغم قلة اعضائه يمثل خير تمثيل الحكومة والمنظمات وهو خير دليل على الجهود المبذولة وعلى الطرق المسلوكة وعلى نية الجميع وعزمهم الراسخ على أن تكون الاعمال منظمة والسبل واضحة وعلى أن ترجع هذه الاعمال بالنفع على كل المؤسسات الثقافية وجامعات اتحاد اقطار افريقيا الوسطى ، وقد تتابعت اعمال الحزب سنة كاملة قدم خلالها اعضاؤه

العشرة الكثير من التقارير الى مدير المعهد ليقع النظر فيها. ثم نشرت هذه التقارير فى شكل تقرير جامع اصدره معهد التربية القومية بعنوان « تكوين الاساتذة بافريقيا الوسطى »

وقد قام المعهد الى جانب ذلك بدور استشارى فبذل الجهود فى عقد المحاضرات واقامة حلقات دراسية واستدعاء المجموعات البشرية والشخصيات التى يهمها الامر لحضور هذه المحاضرات والدراسات ولولا المعهد وهذه البادرة الطيبة لما تمكن هؤلاء الناس من التعارف والتلاقى ففى بداية السنة دعى الفنى المكلف بالتكوين الصناعى التطبيقى الى عقد ندوة يجتمع فيها أصحاب معامل النسيج بروديزيا ليطرق على مسامعهم موضوع « الادارة والاجور وعلاقتها بالانتاج » وفى شهر أفريل من سنة 1958 دعى الفنى المختص بتعليم الانجليزية كلغة أجنبية الى عقد ندوة يحضرها الاساتذة ومتفقدو التعليم والمتصرفون بالادارة والاختصاصيون فى تعليم الكهول ويكون موضوع الندوة النظر فى مجموعة من المقالات التى اعدها فى مواضيع شتى تتعلق بتعليم اللغة الانجليزية وفى نفس السنة عقدت ندوة اخرى فتحت ابوابها لكل من يهمهم امر التعليم الفنى بأقطار الاتحاد ومن تعنيهم الزيادة فى تعميمه وجلب الناس اليه وخاصة فى المناجم والنقل والبناء وغيرها من الصناعات المزدهرة او فيما يخص اطارات مصالح الشغل وموظفى الداخلية وأعوان الامن ٠

وقد وقعت هذه الندوة تحت عنوان « دراسات موجزة عن الشؤون الافريقية وافتتحت فى ديسمبر سنة 1957 » وكان ما جلب اهتمام بعض الصناعيين بالخصوص التقرير المتعلق بتعيين العملة وتكوين الاطارات وتعميم النفع والرخاء فكل هذه المواضيع قد احدثت رجة فى اوساط اصحاب مناجم روديزيا الجنوبية والبلديات اعتراف الخواص والكثير من الشخصيات الرسمية التابعين لمصلحتين او ثلاث مصالح حكومية فطالبوا بعقد ندوات مماثلة على أن يتوسع نطاقها لكى يحضرها مختلف الاعراف ليعم النفع وقد عقدت فعلا فى نفس السنة ندوة اخرى على نطاق أوسع تشمل لاروديزيا الجنوبية فقط بل كل اقطار الاتحاد وقد تناولت هذه الندوة مواضيع مختلفة باختلاف حاجات كل قطر ومصلحة غدد كبير من رجال الصناعة والدوائر الحكومية ٠

وفى سنتى 1944 و 1947 أقرت لجنتا اسكيت واليوت رأيا جديدا وهو أن جامعة ما وراء البحار اذا أرادت أن تؤدى رسالتها على أكمل وجه تكون مجبورة على ترأس الحركة الثقافية الداعية الى تعليم الكهول لا بالصورة المزرية التى تقع عندما يلتقط بعض البؤساء قطعا من الخبز سقطت من مائدة حافلة بالاطعمة بل بصورة أفضل ترمى الى ان تكون الجامعة نفسها تستمد قوتها وفتوتها المتجددة وحيويتها من المجموعة التى تستمد منها حياتها فهى منها واليها »

وفى سنة 1955 القيت محاضرة بجامعة اكسفورد فى نطاق ندوة مكتب المستعمرات لتعليم الكهول اقترح فيها المحاضر امكانية ادخال هذه الرسالة

التثقيفية للكهول فى صميم الرسالة التثيفيّة المناطة بعهدة المعاهد الجامعية ، وقد وقع الخوض فى هذا المقترح أثناء ندوة حكومية عقدها معهد روديزيا للدراسات العليا وجامعة نياسالاند فى جوان 1958 وقد حضر هذه الندوة ما يقرب من ثمانين نائبا شاركوا فى المناقشات الخاصة بمسألة تعليم الكهول وقد حضر بعض النواب من اقصى جهات أقطار الاتحاد ومن نياسالاند وكان بينهم المحافظون والاساتذة الشبان المنتمون الى الحزب التقدمى الرادكالى ورجال الادارة المتعنتون ورجال البعثات الدينية الناشطون والمرشدات الاجتماعيات الافريقيات وربات المنازل الاوروبيات ومديروا البحوث والنقابيون المتعصبون ، وهكذا اجتمع الافارقة والاسياويون والاوروبيون فى ندوة دامت اسبوعا كاملا وتفاوضوا وتناقشوا واتخذوا قرارات فيا يخص الكثير من المشاكل ، وقد قام بجل اعمال الندوة وتحضير مواضيعها واعداد المواد التى ستناقش فى الندوة وتعديل هذه المواد لتكون مطابقة لمقررات الجلسة العامة ، قام بهذه الاعمال التحضرية خمس لجان قدموا تقريرا فى عشرين صفحة وافق عليه الحاضرون بالاجماع ، والفكرة الاساسية التى اتى بها هذا التقرير الجامع هو ان الجامعة اذا أرادت تعميم النفع والافادة وجب عليها انشاء معهد لتعليم الكهول يكون تابعا للجامعة عوض أن تأخذ على عاتقها مسؤولية تعليمهم رأسا بواسطة دروس تقع خارج الجامعة ويكون دور الجامعة فى هذه الصورة : مراقبة العمل الذى يجرى فى نفس الغرض بجميع اقطار الاتحاد والداعى الى تثقيف الكهول وتوسيع نطاقه وجلب انتباه السلط والفكر العام لتقويته والزيادة فيه ، ومن دور الجامعة أيضا تشجيع الجهود الرامية الى انشاء مصالح معتدلة قوية تكون فى متناول جميع سكان الاتحاد وتعمل على تسديد حاجتهم الى طلب العلم والمعرفة ، وتلعب الجامعة هذا الدور بانشاء مصلحة استشارية وتنظيم حلقات من المحاضرات ومن الدارسات لتكوين القادة والاطارات والمرشدين والمنظمين ، ومن دور الجامعة فى هذا الميدان نفسه تشجيع البحوث والتجارب الخاصة بتثقيف الكهول وبوسائل هذا التثقيف•واهدافه والنتائج الناجمة عن تلك البحوث وتلك التجارب ومن دور الجامعة أخيرا تقديم مساعدات ونصائح للمعاهد المختصة بتثقيف الكهول ٠

فالثقافة تؤثر على حياة الرجال والنساء فى كثير من الوجوه وهى التى تطبع تلك الحياة منذ الطفولة ويمتد تأثيرها على البشر وان تقدم بهم السن والثقافة تهم بيئة البشر ونظام مجتمعهم وتؤثر على أعمالهم ومسراتهم وملاهيهم

تأثيرها فى تركيز شخصيتهم وفى حياتهم الجماعية ، والثقافة اذا نظرنا لها هذه النظرة تخص الكثير من طبقات الامة على حد سواء فهى من مشمولات المربـى والادارى والسياسى ومن ينتمى للتجارة والصناعة كما هى من مشمولات كل مواطن من سكان المدن او من سكان الارياف مهما كان شأنه ومهما كانت قيمته ـ ولذلك فان الجامعة اذ تهتم بمشكلة التعليم وتعميمه خارج نطاقها وخارج بوتقتها التى تقتصر عادة على التعليم العالى ـ فانما تقوم بعمل انشائى واسع وتخوض غمار مشروع لا نهاية لـه ولكن هـذا العمـل بمـا كـان أنفـع للشعب من غيره واكثر افادة واجل مساعدة ٠

دور المثقف فى المجتمـــع :

ان الجامعة اذا قامت ببحوث من هذا القبيل تشمل ميادين العلم والعلـوم الاجتماعية وميدان التعليم فى معناه المتسع فانها تقدم المجتمع من جهة وتنفع نفسها من جهة اخرى ولكن ثمة طرق اخرى توصل الى خدمة المجتمع والى الاستفادة الروحية ، فالجامعة بواسطة اساتذتها الذين يقومـون بالبحـوث الادبية والفنية تبرز قيمة المواقف النفسية التى يقفها البشر ازاء الحياة ، كما تبرز قيمـة الامانة والحرية التى تهدف اليها كل نفس بشرية وقيمـة الجهـود الخلاقة التى ترتاح لها تلك النفوس البشرية وان لم يتم كمالها تلك الجهـود التى لها الحق فى التقدم والاستمرار والنمو فى جو الحرية المطلقة ٠

ففى هذا الميدان الفلسفى يمكن للجامعة ان تشجع كل اشكال الفكر وانواع العقل المنطقى الحر ، وبهذه الصورة تنهار المعتقدات الخرقاء التى خلقها عالمنا الحاضر كما تنهار الالهة فى القبيلة وفى الساحات العمومية وهكذا يمكـن خلق تيار جديد غنى بالافكار الحية يخترق الحياة العقلية فى الشعب ،وهكذا تمكن المحافظة على نـوع جديد من الامل فى حياة أفضل مجردة عن الاهـواء والاندفاعات العاطفية وهكذا يقـوى أمل الناس فى الاحتفـاظ ببعض القـيم التى لايمكن للعقل ان يصل اليها الا اذا نزع عنها غبار المادة وفتش عنها وراء حجابها ، وهكذا تمتزج فكرة الصلاح والخير بمظاهر الحقيقة السرمدية وتذوب هذه فى تلك ويلتحق الخير بحقيقة هى وراء الحاجات اليومية وطبيعة النـاس فى حياتهم المادية حياة يغطى عليها الهـواء من حب وحقد وفـزع وشواغـل ، وهكذا يستطيع الانسان ـ اذا خلف وراء ظهره كل هذه الاهواء وكل هـــذه الشواغل المادية اليومية ـ ان يشعر بمعزل عن الشواغل والماسى التى يتخبط فيها قرننا الى العنق ، واذ ذاك يستطيع الانسان أن ينشر هذه العدوى الطيبة وان يصبح داعية الى حياة قوامها التفاهم والتالف وهو قـوام الطبيعة متأصل فيها منذ بدء الخليقة

التقاليد الجامعية المستعملة خصوصاً برابطة الشعوب البريطانية

بقلم ج. و. كوك

قد لا نعجب من أن نرى المثل والتقاليد فى الجامعات العصرية متشابهة متين التشابه . فالجامعات البريطانية العتيقة كأكسفورد وكمبردج والاقدم منها بسكوتلاندا أنشئت على نمط جامعات أروبا فى القرون الوسطى ثم أنها أثرت بدورها على الجامعات العصرية بأروبا ، فأكسفورد وكابريدج أو حتى زيادة على ذلك بالتقاليد المعمول بها فى الجامعات البريطانية الاحدث عهدا وهذه اتخذت انموذجا للجامعات التى اسست فى مختلف بلدان رابطة الشعوب البريطانية خلال المائة سنة الاخيرة

غير أنه يوجد رغم هذا التشابه فى المبادىء والاهداف المقصودة تباين « شديد فى وجهات النظر بين جامعات العالم الحديث سواء من حيث العادات او المرمى المنشود وهناك فوارق كبيرة حتى داخل اقطار رابطة الشعوب الانجليزية . وتجلى هذا بصفة واضحة خلال بعض دورات مؤتمر جامعات رابطة الشعوب البريطانية المنعقد بمونرئال فى سبتمبر 1958 وكذلك اثناء اجتماع مديرى الجامعات الذى سبقه . فالجامعات الكاندية نسجت عند تكوينها وتصميم دروسها منوال الجامعات الامريكية دون الانقليزية وأما الجامعات الهندية فأنها تأثرت كل التأثر بالجامعات اللندنية وبطابعها الفكتورى Victorein لما كانت مؤسسة يقتصر دورها على اجراء مختلف الامتحانات والاختبارات ونتيجة ذلك فان الاتجاه فى الهند والباكستان يرمى الى تاسيس جامعات يتعلم بها عدد قليل من الطلبة فقط كما تجرى بهاامتحانات وتسلم الشهادات لطلبة معاهد ملحقة بها . وهذه الطريقة لا ينجر عنها سوى التفكير فى الامتحان والمحافظة الشديدة على معنى النظم اكثر منه على روحها .

والجامعات الاسترالية سعيا لتلبية حاجيات مجموعاتها ضعفت لما حاولت القيام بأعمال جبارة بوسائل ضيقة وها هى الآن تقوم باصلاح كامل لنظامها . وفى افريقيا الجنوبية نرى الحكومة تغالى فى معاملتها للجامعات وذلك بجعلها أداة للسياسة القومية وبالتدخل فى شؤونها الداخلية . ومن بين المؤسسات المنشأة بعد الحرب فى المستعمرات البريطانية وفى أقطار مستعمرة أخرى يوجد عدد من المعاهد الجامعية ارتبطت ارتباطا متينا بجامعة لندن وتشاركت معها نظرا لمستواها الاكاديمى الراقى . وبفضل هذه المشاركة وضع نظام يرمى الى ازالة الاضرار المنجرة عن العادات القديمة كقبول الطلبة الخارجيين للمشاركة فى الامتحانات والحصول على رتب جامعية .

ان هذه المؤسسات صغيرة باعتبار عـدد طلابها وخاصة بأفراد دون أفراد وتتطلب مصاريف باهضة غير أن هذا لا يمنعها البتة من أن تؤثر تأثيرا عميقا على ازدهار البـلدان التى تحويها فتزود هذه البـلدان بالاطارات وبالمتصرفين وبالاساتذة وبالاطباء وبالمهندسين كما تمكن عددا كبيرا من الرجال والنساء من الحصول على ألقاب مهنية

وهكذا اذا تأملنا الميدان الجامعي لاحظنا فوارق شاسعة باعتبار مستوى طرق التدريس وكذلك أساليب الادارة والتمويل والبرنامج • وهذه الفوارق تظهر لا بين البلد والآخر فحسب بل فى شتى مؤسسات البـلد الواحد • وأما فيما يخص المستوى التكوينى المطلوب فقد ضبطه العالم الجامعي بدقة وأقره بفضل نظام صارم • وفى هذا الصدد يجدر بالملاحظة أن أى حكومة لا تجلب الفائدة الى بلادها ان هى أسست جامعة لا يرى فيها العالم الاكاديمى الكفاءة المطـلوبة ولكنه يوجد رغم هذه الفوارق بعض مبادىء أساسية تتمثل اليها كل الجامعات التى تتطلب أيضا توفر بعض شروط أصلية نذكر من بينها فى المقام الاول مبدأ الاستقلال الجامعي معناه عدم وجود مراقبة حكومية أو أى مراقبة خارجية أخرى وهذا من الضرورة بمكان فى وقتنا هذا اذا اعتبرنا أن أغلب الجامعات مرتبطة ماليا بالدولة وأن الامم من جهة أخرى فى حاجة من حيث نموها الاقتصادى الى التعليم العـالى الذى لا يتوجد بالجامعات دون سواها • وزيادة على ذلـك فمن واجبات الحكومات أن تقتصر على الحكم فيتحتم عليها مزيد التبصر والحكمة لمنح الجامعات مبالغ مالية وافرة بدون أن تهتم عن كثب بكيفية استعمال هذه المبالغ وبدون أن تبالـغ فى فرض وجهات نظرها فى ميدان سياسة نشر التعـليم • وهذا التبصر أمر ضرورى لتمكين الجامعات من بلوغ الهدف المنشود على أحسن وجه ومن المساهمة فى خدمة مجموعاتها بأقصى ما يمكن من المفعولية •

ومن المعلوم أن الحرية الاكاديمية لا تتجلى فى التخلص من المراقبة الحكومية فحسب • واذا ما اختصرنا الى أقصى حد مفهوم هذه اللفظة أمكن القـول بأن الحريات الاكاديمية تفترض بالنسبة الى الجامعة امكانية ضبط برامج تعليمـها بنفسهـا واختيار طلبتها ولا يمكـن بصفـة عامة صيانة هذه الحريات الا اذا استطاعت المؤسسات المتمتعة بها أن تقوم بمراقبة شديدة جـدا على اختيـار المدرسين وتجرى هذه المراقبة بشتى الطرق فهى تكتسى غالبا صبغة فعلية عند ما لا تتعرض اليها القوانين الكتابية ففى جامعات الهند والباكستان مثلا يتولى نائب وزير العدل على ما أظن انتـداب الاساتذة بينما هو يعـين من طرف هذا الوزير الذى هو شخصية سياسية وقد يكـون فى هذا الاجراء سلـوك يمكن الحكومة من القيام بمراقبة مطلقة ولكـن أعضاء المؤسسات الاكاديمية يعرفون التقاليد الغربية المتعلقة بالاستقلال الجامعي الداخلى الى درجة أنهم يستثمرونها ويشاركون فعليا بقسـط وافـر فى اتخـاذ المقـررات التى تخصهم وتخـص الجامعـات ذاتهـــا

وعلى خلاف ذلك يوجد نظام حكومى أكاديمى مستقل داخليا كما هو الشأن بأكسفرد وكامبردج أين تتمتع المجموعة الاكاديمية كلها بالنفوذ المطلق بدون تدخل الغير وهذا ما تمتاز به خاصة الجامعات المصرية بالمملكة المتحدة وبرابطة الشعوب البريطانية وبينما تهتم الامة بأسرها كامل الاهتمام بأن ترى الجامعات تقوم بعملها على أحسن وجه تتعدد الحجج لفائدة مشاركة الغير فى الادارة الاكاديمية بشرط حماية الحقوق ومميزات الجامعة بصفة ناجعة وذلك فى ميدان قبول الطلبة وسن برامج الدراسات

ومن الصالح أن نتمسك بمفهوم الجامعة حسب نظرية القرون الوسطى حيث كانت تعتبر بمثابة مجموعة طلبة متفرغين تماما لنشر المعرفة وتنميتها وكذلك بمثابة منبت لنخبة من العلماء والمثقفين وليس من الواقعية ألا نعترف بما يتطلبه المجتمع من الجامعات التى يساندها · وعلى مدير الجامعة المنتبه أن يسعى فى توجيه برنامج تعليمه باعتبار هاته المقتضيات

وقد كانت الجامعات الاولى بأنقلترا وسكوتلاندا مؤسسات دينية شبيهة بما كانت عليه المؤسسات الرهبانية الاقدم منها بآسيا مثل « التاكسيلا » بالباكستان و « النالاندا » بالهند وفى أكسفورد وكنبردج ما زال التقارب الروحى مع الكنيسة حيا الى العصر الحديث ومنذ قرن تقريبا ألغيت الامتحانات فى ميدان « تدريس الديانة المسيحية » بالنسبة للمدرسين والطلبة · وكانت الطريقة التى زالت منذ ذلك العهد قد أضرت بالتعليم الحقيقى والتقدم العلمى الى درجة أن الجامعات العصرية اعتزمت عدم قبول كل عرقلة قد تنشأ عن الانتساب الى جمعية رهبانية وقررت أن مسائل العقيدة لا يمكنها البتة أن تكون مدعاة الى أى تمييز · وقد أدرجت الآن معظم جامعات رابطة الشعوب البريطانية ضمن نظامها بنودا تنفى كل تمييز سواء كان مبنيا على العقيدة أو على الجنس أو على لون البشر ومن المعلوم أنه توجد جامعات ملحقة بمجموعات دينية تساندها ماليا وأن غالب أعضائها يؤخذون بلا شك من هذه المجموعات الدينية والظن عندى أن أبوابها مفتوحة لاعضاء آخرين (وقد يكون لدى بعض زملائى فى قسم الابحاث ارشادات أخرى فى هذا الموضوع)

واذا ما ألقينا نظرة على الحياة الجامعية برابطة الشعوب البريطانية فلا يسعنا الا أن نلاحظ عدم مسايرة بعض جامعات افريقيا وآسيا للثقافة الاهلية ببلدانها · وقد نشأت عن ذلك لا محالة نظم غير قارة

ومن المتوقع أن يتوجد منهاج يجعل الجامعات تتجه تدريجيا الى نظام يقيم أكثر اعتبار للاديان والثقافات القومية وكذلك للتقاليد و « البيئة العامة » · وهكذا تتجلى فى جامعات جنوبى الهند نزعة ترمى الى تركيز التعليم على الثقافة « التأملية » بينما تبدى الباكستان رغبتها فى مسايرة تعليمها أكثر فأكثر للطرق الاسلامية · غير أنه ليس فى وسع أى جامعة أن تسمح لنفسها بالقضاء

على سلامتها التثقيفية · هذا ويجب الاعتناء بالمحافظة على مستوى فكرى راق وقد اعترضت عدة بلدان مشاكل تتعلق بطريقة التدريس التى ستطبق فى مختلف الجامعات ونشأت الصعوبات الى حد ما عن تلك الموجة القومية التى تكتسح الاقطار المتحصلة حديثا على استقلالها · حقا يسعنا أن نشاطر الرغبة فى تشجيع استعمال اللغات الاهلية ولكنه لا يمكننا أن نجهل أن معظم المؤلفات العلمية بالبلاد تنشر باللغة الانقليزية وليس من السياسة الرشيدة ـ على ما يبدو ـ أن تجعل حواجز لغوية جديدة فى عهد يلعب فيه العلم و « التكنولوجية » (أى لغة المفردات الفنية) دورا له كل الاهمية فى تنمية الاقتصاد الوطنى وربما فى احيائه · وتبدو مشكلة اللغات دقيقة جدا فى بعض الاقطار يلقى بها التعليم المدرسى بلغة والتعليم الجامعى بلغة أخرى · ان هذا العامل هام وهو أيضا عقبة تقف دون تأسيس جامعات لها مستوى راق كاف · ويبعد هذا الحل عن أن يكون واضحا · فهناك نفور طبيعى من استخدام لغة أجنبية بالمدارس وتوسيع نطاقها · ومن جهة أخرى فالمدرسون الجامعيون يعترفون بما ينشأ من الاضرار عن اجراءات من شأنها أن تعرقل التبادل الحر مع الغرب فى ميدانى الاخبار والفكر · لذا يترددون فى حذف استعمال اللغة الانقليزية حيث كان مبرر لوجودها منذ أمد طويل ومن المحتمل أن نرى استعمال اللغتين يتسع بصفة ملحوظة كما هو الشأن فى بعض البلدان لكن التجربة أثبتت أن هذا الاجراء يعود بالخسران على مستوى العمل · وزيادة على ذلك فدراسة المسائل اللغوية تلفت أنظارنا الى المؤسسات التقليدية الاسلامية فى العالم العربى ذات الاهمية الكبرى بالنسبة للمحافظة على الثقافات الاهلية ولكن لنا أن نتساءل عما عسى أن يكون من أثرها على الحياة العصرية فى عهد يدين كثيرا « بالتكنولوجية » مثل عهدنا

ما هى واجبات ومسؤوليات الجامعة نحو الدولة ونحو المجموعة أين تنتدب أعضاءها ؟ وتسلم معظم الجامعات لانه يتحتم عليها مراعاة الضروريات القومية وذلك بأن تعطى ثقافة أتم لمن سيتولى السهر على رفاهية المجموعة ويحتل مناصب تتطلب اعدادا أكاديميا · وهى مستعدة لبذل كل مجهوداتها لتحقيق هذا الهدف · وكثيرا ما يرد الحديث عن هذه الحاجيات فى المملكة المتحدة مثلا فى صورة تقارير حضرتها لجان مستقلة أنشأت لدراسة شتى المشاكل الخاصة وليس فى عرف الجامعة أن ترفض ما تمنحها الحكومة من اعانة مالية لتمكنها من توسيع نطاق أحد برامج تعليمها قد حرر فى شأنها تقرير قدمته اللجان السابقة

والحكومة عند ما تعرض مثل هذه الاعانة المالية انما تعمل باشارة من « لجنة الاعانات والمنح الجامعية » وهذه اللجنة نظرا لاشتمالها على أعضاء أكثرهم من الجامعات تعمل حتى تضطر الجامعة الى سن برنامج مناف لمبادئها وتقاليدها حتى يكون مستوى العمل وقيمته أمرا لا جدال فيه · ولا يعتبر هذا النوع من الصلة بين الجامعة والمجموعة منافيا لمبادىء حرية العلم وكذلك لمبادىء استقلال

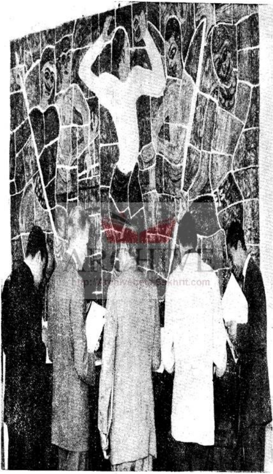
المؤسسة داخليا • غير أن واجب الجامعة يجعلها تضع فى مقدمة أهدافها البحث العلمي والنزاهة فى طلب الحقيقة لذا كان لزاما عليها أن تتجنب كل ما من شأنه أن يضعفها فى القيام بأعمالها

واذا كانت جامعات بلد بلغ من التقدم درجة التصنيع الرفيع ما بلغته بريطانيا العظمى قد سلمت بأن من واجبها سد حاجيات المجموعة فمن الاهم أن يعترف بهذا الواجب فى أقطار أقل نموا وأوسع حاجيات تقوم فيها الجامعة بعمل أثمن • ويعتبر احداث مدارس جامعية فى أقطار ما وراء البحار البريطانية ــ اثر تقرير لجنة اسكف فى عام 1945 ــ من أبلغ الاعمال طموحا فى ميدان الازدهار الاكاديمى خلال السنوات الاخيرة • وكان لهذا الابتكار تأثير هام جدا فأسست مدرستان بافريقيا الشرقية ومدرسة بافريقيا الغربية وأخرى بافريقيا الوسطى وأخرى بجزر الانتيل وكلها على نمط جامعات انقلترا العصرية • واستفادت مما قدمت لها جامعات المملكة المتحدة من مساعدة لتسطير برامجها وانتداب أساتذتها كما أن الروابط الخاصة بجامعة لندن كانت ترمى الى انماء ازدهارها الاكاديمى وذلك بمساعدتها فى تسطير ومحافظة برنامج دروسها حتى يوافق المقتضيات والظروف المحلية على أحسن وجه ويحقق ضمان مستواها الاكاديمى من طرف جامعة لندن التى تتولى اجراء الاختبارات وتسليم الشهادات بها وذلك بمساعدة المدرسين المحليين وقد أحدثت هذه المدارس الجامعية بكامل السرعة وهى تتطلب مصاريف بليغة باهضة فى بعض الاحيان وبلغ مستوى التعليم بها درجة عالية الى حد أن عددا ضيقا نسبيا من تلاميذ المدارس الثانوية يستطيع الانخراط بها • وعدد الطلبة المنخرطين الى الآن فى مختلف هذه المدارس عدد قليل الا أنه أخذ ينمو سريعا جدا فى بعضها

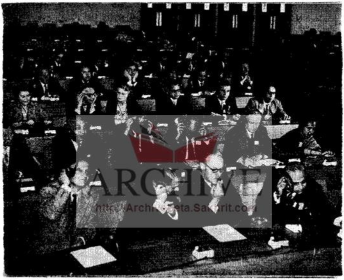
وتساءلنا أحيانا لنعرف هل من الحكمة أن نؤسس معاهد تقتضى أموالا كثيرة الى هذا الحد وتفرض مستوى اعداديا مرتفعا جدا لم يكن الا فى متناول عدد ضيق من الطلبة وذلك اذا اعتبرنا أننا فى أقطار فقيرة ذات نمو متأخر لا يتمتع بما فيها من فوائد سوى أقلية ضئيلة • أليس من الانصف أن نحسن أولا النظام المدرسى ونوسع من نطاقه حتى نتمكن من تركيز الجامعات على أسس أمتن مع عدد من الطلبة زودوا أحسن تزويد وتلقوا أحسن اعداد ؟ هل كان من الحكمة أن نجعل هكذا الطلبة منعزلين فى هذه المدارس بعيدين عن وسطهم العائلى وعن أصدقائهم ؟ وهل أقامت هذه الطريقة وزنا كافيا للمسائل الاجتماعية والاقتصادية ولحاجيات البلدان ذات النمو السريع ؟ وباختصار لو كان يجب علينا أن نعيد كل شيء فهل نأتى بنفس العمل أم هل يجب علينا أن نحتاط بانشاء منظمة تتماشى أكثر فأكثر مع الحاجيات القومية ؟ أما من جهتى فليس لى أدنى شك فيما سيقدم من أجوبة على هذه الاسئلة • وانى على يقين من أن السياسة المتبعة كانت سليمة ولو يتاح لنا أن نرجع الى سنة 1945 ونسطر مشاريع من جديد تداعمها التجربة والخدمة المكتسبة خلال الاربع عشرة سنة الاخيرة لفضلت شخصيا أن أعيد الكرة معتمدا على نفس الاسس تقريبا •

وانى على يقين أيضا من أن أغلبية المدرسين الذين يعرفون جيدا هذه البلدان والمدارس الجديدة يشاطروننى فى رأيى • لقد عين مستوى أكاديمى راق منذ البداية كما لقنت تقاليد جامعية سليمة وانتدب مدرسون على جانب عظيم من الكفاءة وقدمت مساهمات هامة فى ميدان العلم الحديث وهذه المساهمات تهم مباشرة البلاد باستثمارها ما لهذه من امكانيات ، ومما لا شك فيه ان حاملى الشهادات وعددهم قليل فى أول الامر ثم هو يزداد بصفة مطردة سوف يكون لهم تأثير عظيم على ازدهار وطنهم ، أضف الى ذلك أن هذه المدارس عملت كثيرا لتحضير نظام التربية المدرسية وتوسيع نطاقه بواسطة مؤسساتها التربوية وقد ساهمت أقسامها المخصصة لتعليم الكهول ويختلف توجيهها باختلاف نوع المشاكل المطروقة فى تثقيف عدد كبير من الاشخاص الذين لم يكن لهم أى اتصال مباشر بهذه المدارس ثمينة جدا وسيؤتى ثمره فى وقت قريب ولكن القول فى المستقبل ؟ ان بعض الاقطار شاسعة جدا ومؤسسة جامعية واحدة لا تكفى لسد حاجيات هذه البلدان حيث ينمو عدد المثقفين بدون انقطاع فلا بد من التفكير فى تأسيس جامعات جديدة • الا أنى لست مقتنعا بالمرة بضرورة جعلها فى مستوى المؤسسات الموجودة ولو كان هناك ما يبرر هذه الضرورة وهناك امكانية لاجراء تجارب جديدة يتحتم معها أن نراعى الموارد المالية للبلدان المتحصلة حديثا على استقلالها • والمهم أن نحافظ على مستوى أكاديمى راق وعلى التقاليد الجامعية التى أقامت الدليل على صلوحيتها خلال القرون وعلى ضوء هذا الاعتبار تتخذ المؤسسات الموجودة انموذجا وتقوم مقام دليل فائق القيمة فلا بد اذا من صرف اهتمام خاص بما للبلدان من ثقافة تقليدية وحاجيات متزايدة ومشاركة جامعات البلدان ذات النمو السريع فى الخلافات السياسية تشكل عليها أكبر خطر • وتهددها بما تتمتع به من حظوة نعم يحق للجامعات أن تعنى بالتطور السياسى والاقتصادى والاجتماعى لكن بقدر ارتباطه المباشر بالبحث العلمى الانشائى وازدهار المعرفة فى الميدان الاجتماعى والانسانى • ومن الهام أن تتوخى الجامعات مثل هذا المسلك حتى تكون قادرة على المساهمة فى حل المسائل التى تواجه المجموعات غير أنه يجب ألا تكتسى هذه البحوث صبغة تعصبية ولا يرغب عادة فى أن يكون لمدرسى جامعة نشاط سياسى • وأما فيما يخص الطلبة فان ما يمتاز به نشاطهم الفتوى من قلة التجربة وعدم الرصانة يجعل مثل هذا التدخل فى السياسة أمر غير مرغوب فيه أقل فأقل وكذلك مضرا اضرارا

قدمت لكم بعض أفكار متنوعة لا تدعى البتة أن تحيط بالموضوع المطروق احاطة دقيقة وأن تتناوله بتعمق وأن تُبحث فى كل جزئياته • وقد يكون البعض من هذه الافكار محل جدال وما بسطتها عليكم الا لاثارة مناقشتها ٪



المؤتمرون يتبادلون الآراء فى أروقة المؤتمر



احدى جلسات المؤتمر

المشاكل الجامعية في المجتمعات المتعددة الثقافات بافريقيا الجنوبية

بقلم الدكتور ها ليوب

غـــايتـــي من هـذه الملاحظات عرض المعطيات الموضوعية ـ لا تحليل مفصل ـ للمشاكل الجامعية التي تجابهها افريقيا الجنوبية ، هذا البـلد المتعدد الثقـــافـات ٠

ان تطور التعليم العـالي في افريقيا الجنوبية قـد خضع في معظمه لعوامـل جغرافية وثقافية ، توجد الآن في افريقيا الجنوبية تسع جامعات لمجموع 14،5 مليون من السكان المنتشرين على رقعة تبلغ عشر مرات مساحة بريطانيا العظمى (اذا ما اعتبرنا الجنوب الغربي لافريقيا) وتمثل كذلـك مساحة تسـاوى ثلثى مساحة الهند التي يـفوق عـدد سكانها 000 000 400 نسمة ، نسبة السكـان الضعيفة ، اذن عامل لا بد من اعتباره اذا ما أردنا الموازنة بين وسائل التعليم في افريقيا الجنوبية ووسائل التعليم في البلاد الاخرى ٠

تعد افريقيا الجنوبية من بين مجموع سكانها ثلاثة ملايين من البيض المنحدرين من أصل أوروبي جعلوا منها وطنا لهم خلال القرون الثلاثة المنصرمة ، كما جعل المهاجرون الاوروبيون من الولايـات المتحدة الامريكية وطنا لهم وأنشؤوا فيـه طريقـة عيشهم الخاصة ٠ ان سكـان جنوبي افريقيـا يسمون جميعهم الجنوب الافريقيين ، ولكنهم ينقسمون ـ في مستوى التعليم ـ الى مجموعتين لغويتين : قسم السكان الناطقين بالانقليزية وقسم الناطقين باللغة المسماة « افريقندر » ، ويمكن أن نقـول أن 6 o/o يتكلمون الافريقندر (وهي لغـة نيرلنـدية مبسطة) و 40 o/o يتكلمون الانقليزية ٠ وفي الواقـع فان 70o/o يتكلمون اللغتيـــن الرسميتين ، والمجموعتان في هذه البلاد متلاصقتان جغرافيا شديد التلاصق ٠

الثنائية اللغوية في جنوب افريقيا أهم بكثير من الثنائية اللغوية في الكندا مثلا ، حيث الكنديون الفرنسيون والانقليز ينقسمون جغرافيا ودينيا انقساما بينـا ، وان نسبة الكنديين الذين يتكلمون الانقليزية والفرنسية معا لا تبـلغ 20 o/o ، ومعظم سكان جنوب افريقيا من البروتستان بنسبة 90 o/o تقريبا ٠

افريقيا الجنوبية ميالة الى الثنائية في كل شيء : فليس لها لغتان رسميتان فحسب ، ولكن عاصمتان وعلمـان وشعاران قوميان ٠ وأهم من ذلك ، تلـك الثنائية المهيمنة الموجودة بـين البيض وغـير البيض في هذه القـارة السفلى ٠

وسأرجع الى هذه المسألة بعد قليل عند ما أتحدث عن مجموعة السكان غير البيض التى تتألف هى أيضا من عناصر مختلفة تتكلم لهجات متباينة ·

الانقســـام اللغـــوى :

عند ما نعتبر المجموعة البيضاء (الاوروبية) نلاحظ أن التطور الجامعى تحقق حسب خطوط كبرى ثقافية (أعنى خطوطا لغوية متسايرة) وانى سأذكر بين قوسين عدد الطلاب المسجلة أسماؤهم بكل جامعة فى سنة 1957 · ففى الطرف الجنوبى بافريقيا توجد جامعة كاب *Cap* (4732) والانقليزية هى لغتها الاساسية ، وعلى بعد أربعين كيلومتر منها توجد جامعة ستلنبوش *stellenbosh* (3066) حيث « الافريقندر » هى لغة التعليم ، وعلى بعد 1500 كيلومتر شمالا توجد جامعة فيتواترسرند **Witwatersrand** (4677) فى جوهنسبورغ **Johannesbourg** ولغتها الانقليزية ، وعلى بعد خمسين كيلومتر توجد جامعة بريتوريا *Pretoria* (4443) ولغتها هى الافريقندر · وفى عاصمة بلويمفونتاين *Bloemfontein* بولاية أورنج *Orange* جامعة افريقندرية (1651) ، وتوجد من جهة أخرى جامعة ناتال *Natal* (2841) قائمة بعاصمة بيترمرتزبورغ *Pietermaritzburg* ودربان *Durban* فى اقليم ناتال ولغتها الانقليزية ، وتوجد فى غير هذه الناحية جامعتان صغيرتان ، الاولى لغتها الافريقندر ، قائمة ببوتشفستروم (1374) بالترنسفال *Transval* ، والثانية جامعة رودوس *Rhodos* لغتها الانقليزية (1921) ، قائمة بمركز قراهمستاون *Crahamstovn* باقليم كاب ، وتغلبت عليها اللغة الانقليزية ·

ان الانقسام اللغوى فى هذه الجامعات الناتج عن لغة التعليم المستعملة أمر حديث عهد وراجع ، فى معظمه ، الى القوة المتزايدة للمجموعة الافريقندرية فلقد كانت جميع الدروس تقريبا تلقى فى السنين الماضية باللغة الانقليزية رغم أن اللغتين الافريقندرية والنيرلندية كانتا من جملة مواد الدراسة · ونرى اليوم عددا كبيرا من الطلاب لا يزالون يختلفون الى دروس الجامعات التى تستعمل الانقليزية كجامعات كاب وناتال ، فى حين أن عددا آخر من الطلاب ذوى اللسان الانقليزى يختلفون الى دروس الجامعات التى لغتها « الافريقندر » ، هذا التفاعل أمر ممكن ، ناتج عن هذه الثنائية اللغوية المنتشرة فى افريقيا الجنوبية ، بيد أن الفاصل بين المجموعتين يزداد قوة كل يوم فيما يبدو ، كلما تقدمت الحكومة فى تطبيق سياستها الرامية الى تنظيم التعليم الثانوى والعالى للشبان فى مؤسسات مستقلة الواحدة عن الاخرى ، فتوجه اليها الطلبة ، كل حسب لغته الاصلية ·

التفــرقـة العنصريــة :

ان العلاقة متينة بين اللغة المستعملة فى التعليم بالجامعات وموقف المسؤولين

فى خصوص قبول الشبان غير البيض فى الجامعات ۰ لذلك ترى الطلاب غير البيض لا يألفون الجامعات التى لغتها الافريقندر ، ولكن يألفون الجامعات التى تستعمل الانقليزية ، هذا هو الوضع الواقع ۰ أما من الوجهة القانونية ، فلا توجد أى تفرقة عنصرية فى أى جامعة من الجامعات ، أعنى أنه لا توجد فى وثائق هذه الجامعات بنود تنص على مشكلة العنصر واللون ، أما مسألة معرفة هل يمكن قبول طلبة غير البيض فى هذه الجامعات ، فحلت دائما حلا ضمنيا ، أعنى حلا مصدره عادات المجتمع الذى توجد فيه الجامعة لا تشريع سنته الحكومة أو منظمة منفصلة عن الجامعة أو متصلة بها ۰

عـــامـــل العـــدد :

يجب أن نعتبر أيضا عامل العدد : نجد فى جامعة ناتال وجامعة رودوس وفى الجهات المجاورة لهما عدم توازن كبير لفائدة غير البيض ، فنسبة غير السود فى اقليم ناتال مثلا هى 6 مقابل 1 ، ونجد نفس هذه النسبة تقريبا فى جهة ترنسكاى *Transkei* مقر جامعة رودوس ، اننا نجد فى افريقيا الجنوبية نفس عدم التوازن بين السود والبيض الذى نجده فى الولايات المتحدة ۰

ومن الغريب أن نشير أيضا الى الموقف القانونى المتعلق بالتفرقة العنصرية فى الولايات المتحدة الامريكية وفى اتحاد جنوبى افريقيا ، الا أن الامر هذه المرة يسير على العكس ، فنجد الجامعات بالولايات المتحدة حرة فى أن تبت هى نفسها فى شأن قبول الطلبة ، فالتفرقة أو عدم التفرقة مشكلة راجعة الى الشعور السائد بين السكان المحليين ، أما الحكومة الفيدرالية فتتدخل اذ ذاك وتقدم تسوية تخرق فيها حقوق جامعة الولاية وترغمها على محو التفرقة ، وبعبارة أخرى ، فللدولة لا للجامعة يرجع الحق فى تكوين سلك الطلاب ۰ أما فى افريقيا الجنوبية ــ حيث الجامعات لا تزال تتمتع بحق البت فى قبول من تشاء من الطلاب ــ فقد اقترحت الحكومة هذه الايام أن يقع التصويت على قانون يمكن للدولة بمقتضاه أن ترغم الجامعات على تطبيق التفرقة ، وهكذا تصبح الجامعات لها حق تكوين سلك الطلبة بنفسها ۰ يجب أن نعرف الآن هل تدخل الحكومة هذا لا يمس باستقلال الجامعات وحريتها ؟

المنـــح الحكـــوميـــة :

مراقبة الدولة للجامعة نتيجة للاعانات المالية التى تمنحها اياها ۰ وان نسبة هذه المنح ترتفع الى 60 0/0 من مداخيل الجامعة ، وقيمة هذه النسبة مرتكزة على اعتبار عدد المواد الاساسية المتضمنة فى برامج الجامعة وعلى عدد الطلبة ، وهذا الوضع عام فى كل الجامعات ۰

المشـــاكـل الطـــالبيـــة :

ينتخب كل سنة مجلس نواب الطلبة ، مهمته أن يكون صلة وصل بين

السلط الجامعية والطلبة ، وأن نفوذ المجالس مضبوط أشد الضبط بوثائق قد يطلق عليها ـ كما هو الشأن في جامعة ناتال مثلا ـ اسم ميثاق الطلبة •

ان مجالس نـواب الطلبة لمختلف الجامعات منضوية تحت منظمتين طالبيتين مختلفتين اختلافا ناشئا عن التباين اللغوي ، وهما « الاتحـاد القـومي لطلبـة جنوبي افريقيا » و « رابطة الطلبة الافريقيين » ولا تضم هذه المنظمة الاخيرة الا الطلبة البيض ، وهمـا منظمتان قليلا ما تتقابلان ، لان مساهمة الطلبـة غـير البيض في اجتماعات مشتركة أمر لا يزال مشكلا بعد ، الا أن نوعا من تقارب قد حصل ، اذ دعي طلبة ملوينون لحضور اجتماعات منظمة رابطة الطلبة الافريقيين، ويبدو أن المنظمتين قد تصلان الى اتفاق على طريقة تعايش فيما يخص المشكلة العنصريـة •

حـــرية النقـــد :

لقـد تمتع طلبة جامعات جنوب أمريكا بكـامل حرية التعبـير دومـا • وان معارضاتهم قد وقعت دائمـا في كنف النظام رغـم حـدة الشبان واندفاعهم ، ولنلاحظ ان هذه المعارضات لم تتسبب في أعمال العنف بافريقيا الجنوبية ، خلافا لما يقع عادة في البلاد الناقصة النمو •

ولقد أعرب « الاتحاد القومي لطلبة جنوبي افريقيا » مؤخرا بوضوح ، عـن رفضه اقتراحات الحكومة المتعلقة باحداث جامعات مستقلة لغير البيض ، وكذلك انتقد الجامعيون في حرية كاملة مشروع قانون الحكومة في هذا الصدد ، وأريد أن أشير هنا الى دراسة عنوانها : « الجامعـات المفتوحة في افريقيا الجنـوبية » أعدها أساتذة جامعيون مبرزون ، ولم أر حكما أحسن من الحكم الذي تضمنته هذه النشرية في خصوص حرية الجامعة ازاء مشكل التمييز العنصري •

وقصارى القول ، فان جامعات جنوبي افريقيا ، رغم ما تتمتع به من اعانـة مادية ، قد احتفظت بنبيل سنتها في الحرية ، هـذه السنة التي تضاهي سنـة جامعات البلاد المتحضرة • ورغم تباين الجامعات فيما بينها ، فكل واحدة منهـا تتمتع بكامل الحرية في اختيار :

أ) الاساتذة ـ (ب) الطلبة ـ (ج) مواد التدريس •

ولم تتدخل الدولة مرة واحدة ، حتى هذه الايام الاخيرة ، لعرقلة سير هذه الحريات الاساسية الثلاث التي ينص عليها ميثاق مختلف الجامعات •

لقد قلت « حتى هذه الايام الاخيرة » لان الحكومة ستقترح في الشهر القادم نص قانون تعرضه على مجلس النـواب سيكون مضمونه لا الحـد فحسب من حريات الجامعات التي ستحدث لغير البيض ، بل تهديد الاستقلال الذاتي الذي تتمتع به الجامعات القائمة في خصوص اختيار الطلبة •

ان مشروع هذا القانون بصدد الدرس رغم الانتقادات العنيفة التى توجهها اليه شخصيات جامعية سواء أكانت افريقندرية أو أنقليزية • وبودى هنا أن أعطى بعض الايضاحات •

غاية الحكومة من وراء هذا القانون هى توفير أكثر امكانيات للطلبة غير البيض الراغبين فى الالتحاق بالتعليم العالى •

امكانيات التعليم الجامعى لغير البيض :

ان نسبة الطلاب الذين يلتحقون بالجامعات تتوقف على نسبة أكبر لتلامذة المعاهد الثانوية ، ونسبة التلامذة بالتعليم الثانوى تتوقف على نسبة أكبر لتلامذة المدارس الابتدائية ، ويرجع الفضل فى انشاء التعليم الابتدائى المفتوح لغير البيض ، خلال القرون الاخيرة ، الى نشاط المبشرين الذين يجدون بعض الاعانة من الدولة • ان الاغلبية الساحقة من السكان غير البيض مؤلفة من عناصر البنتوس *Bantous* (9،5 ملايين) الذين يعيشون بجهات ريفية ويحتفظون حتى اليوم بعاداتهم القبلية • أما سائر عناصر هؤلاء السكان غير البيض فمؤلفة من الخلاسيين *Métis* (مليون وثلاثمائة الف) ومن الآسيويين (000 400 تقريبا) الذين يعيشون كلهم أو جلهم فى ناتال (*Natal*) • ولقد أحدثت مدارس ابتدائية وثانوية راقية لفائدة السكان الخلاسيين والآسيويين تشرف على التعليم فيها نفس السلط التى تشرف على تعليم البيض • ولم يفتأ التعليم فى هذه المدارس يتحسن حتى تضخم عدد الاطفال الهنود والخلاسيين فيها تضخما غير عادى • أما نسبة الشبان الذين يزاولون تعلمهم فهى بعد اعتبار أهمية السكان تساوى أربع مرات نسبة الهند ، وكذلك تفوق نسبة أى بلد آخر فى افريقيا والشرق الاوسط •

ولقد تعهدت الدولة أخيرا بتربية تسع ملايين ونصف من البانتوس ، وهكذا تضخمت ميزانيتها تضخما عظيما • ونسبة السكان غير البيض ، فى جنوبى افريقيا اليوم ، الذين يزاولون تعلمهم بالمدارس والجامعات ، أكثر ارتفاعا من أى نسبة أخرى لمجموعة غير بيضاء بافريقيا ، وهذا رغم الاعتمادات المالية العظيمة — التى رصدتها الحكومة البريطانية مثلا — لانشاء مؤسسات ثقافية بمستعمراتها بافريقيا • وارتفاع هذه النسبة فى اتحاد افريقيا قد يكون سببه بعد المسافة التى تفصل المستعمرات والجهات الافريقية عن أوروبا ، فى حين أن « مستعمراتنا » — أعنى الجهات التى يقطن بها سكانها الاصليون ، موجودة على قرب منا ، فتسهل علينا معرفة مقدار تأخر هذه المجموعات ومقدار ما تحتاج اليه من اعانة ، انه من العسير أن نوازن بين الوسائل التى توفرها البلاد الاوروبية لمستعمرة بعيدة والوسائل التى يتمتع بها فعلا سكان هذه البلدان • « فبعد المسافة يضفى على الاشياء بهاء وروعة » • ان مناطقنا الناقصة النمو موجودة فى أرضنا بالذات ، بيد أن المستعمرات الاوروبية أصبحت بفضل تطور

وسائل النقل الجوية ، قريبة من العواصم الامهات قرب مناطقنا الافريقية من بلادنا نحن بفضل سكة الحديد والطرقات المعبدة • فوسائل النقل الحديثة قد محت المسافات •

ويحسن بنا ، فى هذا الصدد ، أن نذكر نهضة القومية الافريقية ومقتضيات الحقوق والامتيازات القريبة من التى تتمتع بها البلاد البعيدة التطور والتى لها سنة ديموقراطية قديمة • نحن اليوم فى مرحلة انتقالية عسيرة • فالمطالبة بالحقوق أمر أيسر علينا من تصور المسؤوليات التى تنشأ عنها • ولكن كل هذه الامور تحتاج ـ كى تحقق ـ الى وقت طويل ، يعوزنا الوقت ويعوزنا تقدير القيم الاساسية حق قدرها ، هذه القيم التى أصبحت جزءا لا يتجزأ من وجودنا ولكنها ، بالنسبة للافارقة ، أمر جديد • افريقيا اذن فى حاجة الى **الوقت** •

النمـــو المنفصـــل :

أما الصيغة الحديثة التى برزت فيها النظرية هى أساس فكـرة « الفصل » *Apartheid* ـ وهى احدى الخطوط التى عليها تسير الحكومة الوطنية الحالية ـ فهى التالية : ان التفرقة الافقية بين البيض وغير البيض ، مع وضع البيض فى القمة ، تورث الهيمنة والاذلال وساءت وسيلة ، من الاليق أن نحل محلها تفرقة عمودية تمكن غير البيض من أن يعيشوا على حدة فى مناطقهم الخاصة دون أن يكون نموهم محدودا ، وهناك يمكن لهم أن يدبروا أمورهم بأنفسهم وأن يعملوا لاصلاح شؤونهم حسب طرقهم الخاصة . كما يفعل البيض ذلك من جانبهم • ومن واجب الابيض ـ وهو أكثر حنكة ـ أن يحسن توجيه غير الابيض فى مرحلته الانتقالية ، وهكذا تنشأ فكرة احداث عدد من البنتوستان فى اتحاد افريقيا ، أعنى دويلات افريقية تتمتع باستقلالها الذاتى • ومن واجب مجلس النواب أن يصادق على اعتمادات ضخمة لكى تصبح هذه الدويلات مجموعات يتسنى لها العيش اقتصاديا وفنيا • ان التطور المستقل للبيض وغير البيض هو الهدف النهائى الذى قد يفضى ، من الوجهة السياسية ، الى اتحاد يجمع دويلات البيض وغير البيض ويتعهد بتسوية المشاكل المتعلقة بالمصالح العامة • الا أن تفاصيل مثل هذه النظرية وتبعاتها لا تزال غير واضحة •

بيد أن تبعات هذه النظرية ، فى خصوص التعليم الجامعى ، قد عرضت فى وضوح حتى صدر عنها مشروع قانون هو الآن علـى بساط الدرس فى مجلس النواب ، ولقد نقح مشروع هذا القانون مرات عديدة خـلال العامين الماضيين ، فبيض شيئا ما وجه افريقيا الجنوبية فى الاوساط الجامعية الاجنبية والداخلية أيضا ، وهو يطلق عليه اليوم اسم « توسيع مشروع القانون/المتعـلق بالتعليم الجامعى » وهو يتضمن :

أ) احداث معاهد جامعية لغير البيض وحسن السهر عليها وادارتها ومراقبتها

ب) قبول طلبة غير بيض وتثقيفهم فى هذه المعاهد

ج) جعل قبول الطلبة غير البيض مقصورا على عدد من الجامعات دون سواها وهو يتضمن فى النهاية تسوية بعض المشاكل الفرعية ٠

ان الحكومة الوطنية المتشبعة ــ فيما يبدو ــ بروح المبدا الوطنى تأخذ الآن التدابير اللازمة كى يكون لكل فرقة جنسية غير بيضاء جامعتها الخاصة بهـا ٠ وهكذا نرى الحكومة ، بحكمتها البالغة ، مستعدة لتقيم ، وسـط كل مجمـوعة جنسية ، جامعة يأوى اليها السكان الذين لا يزال معظمهم يعيش عيش البداوة القبلية نسبيا ، وستكون هـذه المؤسسات بعيدة جدا عن المناطق المتحضرة ، حيث تعيش جل العناصر المتطورة من هذه الفرق ، وحيث الفروق العنصرية فى طريق الاضمحلال ، وفى الحقيقة ستصبح كل جامعة صورة من واحة صغـيرة ستصب مصادرها المرتوية من معين العلم الغربى فى صحراء القبائل المخشوشنة الامية ٠ الا أن مادة هذه المصادر العلمية ستصفى تحت مراقبة الحكومة الشديدة قبل أن تقدم الى غير البيض، خشيــة أن تتسرب اليهم جرثومة أجنبيــة خطرة اللون ، حتى وان لم يمكن سوى لون وردى خفيف

فالمشكلة التى تواجهها الحكومة هى ــ فى عبارتها المضبوطة: كيف يمكن ابراز جامعة من العدم المطلق ؟ هى ذى فى الحقيقة مشكلة مضنية خصوصا اذا وجب على الجامعة الجديدة أن تكون موجودة فى منطقة تبعد بألف فرسخ عن مؤسسة ثقافية أخرى مماثلة ٠

ان انشاء جامعة تكون خاضعة لنفوذ الدولة يحز فى نفوس المثقفين الجامعيين ببلاد جنوب افريقيا ، لانهم اعتادوا معرفة قيمة نظامنا التقليدى القائم على الحرية والاستقلال ٠ ولهذا السبب ، ولضئالة الاعتمادات المقررة فقد لا تجذب هـذه الجامعات عددا عظيما من الاساتذة ، وان جودة العمل الجامعى ، رغم الامتحانات الخارجية ، تتعلق خصوصا بجودة الاساتذة ٠ فاذا ما فتحت هذه الجامعات ، فقد ينحط المستوى الثقافى بافريقيا الجنوبية ٠

على أن الانتقاد الرئيسى الذى يوجه الى هذا الاجراء هو أن الوزير سوف يكون له الحق فى ايصاد أبواب الجامعات الموجودة فى وجه الطلبة غير البيض ، فيصبحون هكذا مرغمين على الالتحاق بالجامعات الجديدة أو على الحرمان من التعليم العالى ٠

فمشروع هذا القانون اذن أثار موجة من المعارضة حتى فى أوساط الجامعات التى تستعمل اللسان الافرقندرى ، ويلاحظ هؤلاء أنه اذا صح أن هذه الجامعات ستكون لها الجودة التى تزعمها الحكومة ، فلم يرغم الطلبة على الاختلاف اليهـا دون سواها ٠ مما لا شك فيه أنه يجب أن لا يحرم الطلبة حرية اختيار التعليم الذى يرغبون.فيه ، وهذا مبدأ أساسى من مبادىء حرية التعليم وهو أيضا عنصر جوهرى لاستقلال الجامعة التى بفضلها يتسنى للجامعات « المفتوحة » أن تقرر الشروط التى يجب أن تتوفر فى الطالب ٠ وينص مشروع هذا القانون ــ فى

صيغته الاولى — على أن للوزير الحق فى منع كل طالب غير أبيض من الالتحاق بجامعة من الجامعات الموجودة ، ابتداء من تاريخ أول جانفى 1958 • أما الطلبة المسجلة أسماؤهم فيها قبل ذلك التاريخ ، فلهم أن يواصلوا تعلمهم بهذه المؤسسات ، ولكن هذا المشروع فى شكله الجديد لا يسمى أى أجل لادخال هذه الاجراءات فى حيز التطبيق • فقد تطبق هذه الاجراءات بصورة مجزأة كأن يرخص للطلبة أن يتابعوا دراستهم فى بعض الجامعات دون سواها ، ويرخص لفرقة معينة أن تواصل دراستها فيها وتحرم فرقة أخرى ، حسب السرعة التى ستبرز بها المؤسسات الجديدة • وقد يرخص أيضا للطلبة الذين أحرزوا على شهادات أن يواصلوا فيها دراستهم الى أجل مضروب ، بيد أنه لم تبرز حتى الآن أى مؤسسة جديدة ، وقد تمر سنون عديدة قبل أن تتمكن الحكومة من تطبيق هذه الاجراءات ، وفيما بين ذلك لا نفتأ نرى الطلبة غير البيض يقبلون — وسيزداد اقبالهم — على الجامعات المفتوحة • وفى الجامعة التى أدرس فيها ، أصبح عددهم هذه السنة يربو على الستمائة طالب • انهم يريدون ، فيما يبدو ، أن يطرقوا الحديد ما دام تحت الحرارة •

ان ادارة هذه الجامعات الجديدة ومراقبتها أمر غريب حقا • فسيؤلف — حسب نص المشروع — مجلس شيوخ ومجلس استشارى ومجلس شيوخ ومجلس شيوخ استشارى ، وستكون كل هذه المجالس مكونة من أعضاء يعينهم الوزير حسب ارادته • وسيكون المجلس فى بادىء الامر مؤلفا من أعضاء بيض ، والمجلس الاستشارى من أعضاء غير بيض ، ثم يصبح المجلس الحقيقى غير أبيض تدريجيا ، والمجلس الاستشارى أبيض • أما الهدف النهائى فهو تحويل هذه المؤسسات الى منظمات غير بيضاء مجلسا وأساتذة •

نلاحظ اذن أن مذهب « الانفصال » الجامعى *L'apartheid* يسعى فى أن يكون نمو الجامعات الذى يؤدي الى فصمها عن بعضها بعض قائما على أسس اخلاقية تضمن له عطف الاجانب ، وهو مذهب يوفر للمثقفين غير البيض مبدأ أوسع حتى لا يبقوا مضطرين الى منافسة البيض للظفر بمناصب جامعية كماهو الشأن اليوم ، وستكون هذه المؤسسات تحت الحماية البيضاء أول الامر ، ولكنها سوف لا تلبث أن تنال حريتها الذاتية شيئا فشيئا كما وقع فى جامعات غير بيضاء فى بلدان أخرى بافريقيا •

وهكذا سيظفر الآسيويون بمؤسساتهم الجامعية الخاصة بهم ، وقل مثل ذلك فى شأن الخلاسيين الذين يعيشون فى أقاليم الكاب •

انه من العسير جدا أن نتصور كيف سيمكن للملايين من غير البيض الذين يعيشون خارج البانتوستان والذين هم مندمجون اليوم فى الحياة الاقتصادية ، أن يحظوا بتلقى ثقافة جامعية • اللهم الا اذا أحدثت الحكومة جهازا لتوزيع المنح بعيد التشعب ، ان الذين سيحظون بتلك الثقافة الجامعية هم أولئك الذين نالوا قسطا من تطور لانهم تمكنوا من مزاولة تعلمهم بأشهر المدارس ويعيشون عيشة اقتصادية مرضية ٪

دور المثقف فى المجتمع

بقلم
ميخائيل بولانى

سيـــدى الرئيـــس ،

بـــــودى ، فى ختام هذا المؤتمر ، أن أتوجه بالخصوص باسم أصدقائنا الحاضرين هنا ، وباسم مؤتمر الحرية للثقـافة ، وباسم لجنة العـلوم والحرية الى أصدقائنا ومضيفينا التونسيين . لقد كنا وجهنا شكرنا الى الرئيس والحكـومة والى كل من قدموا لنا اعانتهم ، فأريد شخصيا أن أضم صوتى الخاص الى هـذا الشكر ، كما أشكر ، زيادة على ذلك ، عامة الذين برهنوا على اهتمامهم بالمثـل الاعلى الذى نحن بصدد العمل على تحقيقه ، هـذا الاهتمام الذى لاحظناه عند ما اطلعنا على عدد كبير من الصحف التى تفضلت بأحاديث ضافية عن مناقشاتنا . وانى أعتبر هذه الالتفاتة من الشعب تحية اكبار للمثـل الاعلى الثقـافى الذى صدعنا به هنا ، ودليـلا عن الثقـة فى نزاهة نوايانا ، وشاهدا عـلى العلاقات الانسانية المخلصة التى تربطنا جميعا بعضنا ببعض ، من وراء الحدود الرسمية المتمثلة فى حواجز تفصلنا فصلا لا يقبله العقل .

لقد قبلنا أن نشارك هنا ـ طيلة عدة أيـام ـ فى عمـل شريف كرستم لـه جهودكم أنتم أيضا ، وها أنتم أولاء على أهبة انشاء جامعة ، الا أن هـذا العمل يعتبر عملا جزئيا اذا ما نظرنا الى جملة نشاطكم العظيم ، أعنى انشاء دولـة جديدة واحياء ثقافتكم الوطنية فى كامل روعتها السالفة .

لقد مكنتنا هذه الفرصة من تبادل الآراء ، وقد يبدو لكم اليوم أنكم تتلقون من الثقافة الغربية أكثـر مما تعطون من ثقافتكم . ولكن ما معنى هذا ؟ فلقـد تلقت أوروبا دينها من آسيا ، وصادف هذا الدين فى أوروبا ازدهارا طويـل العهد ، فى حين أن شوكته قد ضعفت فى بلاده الاصلية . ولكن عند ما انحطت الحياة الدينية فى أوروبا فى هذا القرن العشرين ، وأحيا تلستوى (*Tolstoy*) عناصرها بتفكيره الغض ، لم يلبث أن انتشر هذا التفكير فى آسيا حيث برزت عبقـرية غانـدى . ان مذاهب « أهمسـا » (*L'Ahimsa*) و « ستيقـرافه » (*Satygraha*) هى المشاركات الطريفـة الوحيدة فى القرن العشرين لفـائدة العلوم السياسية المتحضرة . وهأنا أتذكر الآن مثالا آخر من هذا القبيل : لقد زرت أمريكا الجنوبية مؤخرا وتمكنت فيها من مشاهدة الفن المعمارى الحديث ، وقد اقتبس من أوروبا والولايات المتحدة ، وأوله هناك رجال معظمهم يعيش حتى

الآن في العهد الحجري ، ولكنهم مع ذلك نفخوا في هذا الفن روحا جديدة ، وقوة وروعة عجيبين • ولقد يرحل الآن الفنانون المعماريون الجدد الى « ساوو بولو » (Sao Paulo)و « قركاس (Caracas) قصد الدراسة

واني أتكهن أن أمرا مثل هذا سيقع في البلاد العربية وربما في تونس على الخصوص • فقد استوحيتم كفاحكم لتحقيق الاستقلال من الثورتين الامريكية والفرنسية • ان الاوروبيين هم الذين لقنوكم مبادىء مناهضتكم للهيمنة الاجنبية ، هذا الامر بالذات هو الذي وقع عند ما لقن البريطانيون الامريكيين فكرة مناهضة الهيمنة الاستعمارية • وكان هذا الامر ذا نتائج مهمة • ان مؤسسي أمريكا ـ نذكر منهم جفرسون (Jefferson)و « مادسون » Madison اللذين كتبا في « الفيديرالست » theFederalist وصاغا بنود وثيقة الاستقلال ـ يعتبرون اليوم حجة في ميدان التفكير السياسي ، وان تفكيرهم هذا فات الآراء التي عرضها « لوك » Locke في كتابه عن صورة الحكم Essay on Governement

ان كفاحكم ، بل عملكم الذي شعرتم فيه هنا يبدو وكأنه تحد للفلسفة التي ورثتموها عن أوروبا ، وانه يبدو لي أن المؤسسات التي أنشأتموها هنا لا تتفق كل الاتفاق واطار هذه الفلسفة ، وأعتقد أننا سنرى طريقة للتفكير جديدة تبرز في هذه البلاد وتعبر عن المعنى العميق لاشكال الحياة العامة التي أنتم بصدد تشييدها •

لقد واجهنا في هذا المؤتمر تجربة ظاهرة من هذا القبيل ، تتعلق بالمبادىء الثقافية • انكم سمحتم لنا بالمشاركة في مجهودكم الرامي الى اعادة النظر في أسس الحياة الجامعية • وهكذا فتحتم لنا ـ أو لي على الاقل ـ آفاقا جديدة بالنسبة لمفهوم الوضع الذي يجب أن تقوم عليه جامعة من الجامعات •

انه لمن دواعي السرور والارتياح أن نتمكن من درس مبادىء حياتنا الجامعية • هذه الحياة العزيزة علينا • كثيرا ما تتهم منظمتنا هذه (المؤتمر لحرية الثقافة) بأنها تعمل ضد الشيوعية • انه توجد ، مع الاسف ، جهات في العالم ـ وخصوصا في البلاد القريبة منا ـ تجب فيها حتى الآن مقاومة التفكير الشيوعي والمؤامرات الشيوعية • ولكننا اليوم في حاجة ملحة الى أن نوجه أكثر اهتماما الى التفكير في رغباتنا والى البحث عن تحديد أسسها ـ مع الاعتراف بحدودها ، وفي حاجة ملحة كذلك • بعد أن نخلص أذهاننا من ذكرى تلك الظروف الكريهة ـ للعمل قصد تحقيق الخير لانفسنا واستكمال صلاحنا •

انكم أتحتم لنا الفرصة لان نقوم بهذا العمل ونحن بين ظهرانيكم ، أنكم أفرغتم على هذه المشاكل معنى غضا وأهمية حيوية ، لان هذه المشاكل عنصر من ثورتكم العظيمة هذه • لقد فعلتم أكثر من هذا ، فعند ما التفت الى أمس السيد ابن ميلاد ـ وقد فرغت من تقديم تقريري ـ فسألني متفكها : « هل أنت

مسلم ؟ » أجبته أول الامر اجابة مـازح ، ولكنى فهمت الآن فجـأة مدى هـذه الكلمـات . لقـد تحققت ، رغم الشكوك المرة التى أعرب عنها عـدد منكم ، فى خصوص معنى الاســلام التقليدى ٠ أن لكم فى الاســلام مصدرا للمثل العليا الفلسفية تمتازون به علينا ، نحـن الاوروبيين ، لان المسيحية ، رغـم مذهب « التوميسم الجديد » لم تفلح بعد فى منحنا أساسا ميتا فيزيقيا مرضيا فى الحياة الثقافية الحديثة والحياة الجامعية على الخصوص ٠ ان لنا فى ألمانيا سنة للمثـل الاعلى الفلسفى ، ولكنها تشكلت بأشكال غير معقوله حتى كانت ، بصورة غـير مباشرة ، مصدر حركات سياسية هدامة ، فصرنا لا نثق بها اليوم ، ولقد أنشأت هذه السنة ، من خـلال الوجودية ، فى فرنسا وألمانيا ، فلسفة العـدم ، أعنى نظرة تأملية فى الكون الذى أصبح يعتبر خاليا من كل معنى ٠ لذلـك يبدو من الصعب أن تولد هذ هالسنة من جديد فى شكل مذهب حقيقى ٠

أما المذهب الانتفاعى البريطانى ، فهو فلسفة جيدة لاولئك الذين يستعملونها لاخفاء عواطفهم الانسانية التى يكرهون الافصاح عنها ٠ ولكن هذا المنهاج خاصية بريطانية : اذن هى لا تصلح خارج بريطانيا ٠

لقد أدركت الآن أن الله يمدكم ببركته لان لكم مصدرا فلسفيا أفضل ، ويبدو أن ديانتكم زاخرة بالآراء الفلسفية العظيمة ، وقادرة على توفير العناصر اللازمة لحفـظ قيمة الروعة الثقافية لهـذه النظرة العـامة التى يجب أن تكون مرشد جامعتكم المنتظرة ودعامتها ٠

أسألكم العفو ان أنا أطلت عليكم وأبديت رأيى فى مشاكل تمسكم من قريب ، وليس لى بها الا المـام سطحى وانى أعتمد على هذه الثقة المتبـادلة التى نشأت بيننا ، وأرجوكم أن لا تكونوا قاسين فى حكمكم على هذيانى ٠

الثقة المتبادلة ! هو ذا العنصر الثمين الذى جنيناه من هذا الاجتماع ٠ اننـا سنبذل كل ما فى وسعنا لنثبت هذه الثقة فى السنين المقبلة ، وعلى هذه الثقة سنعتمد لمواصلة الاضطلاع بمهمتنا التى لم نعـد ان شرعنا فى تحقيق داعيـها الحتمى : ألا وهو تشييد عهد الاخوة بين أفراد العالم بأسره ٪

منـــــاقشات وتعليقـــــات

بعد محاضرة الاستاذ الامين الشابي

الاستـاذ نـاشـابى :

كثـــيرا ما فكرت فى أن المشكل ليس فى تكوين الاطارات العليا بقدر ما هو فى اعداد اليد العاملة المتخصصة ، فاسمحوا لى بأن أعيد القول بأن واجب البلاد التى بلغت هذه المرحلة فى طريق التطور هو فى الاعتناء قبل كل شىء بتكوين هذه اليد العاملة المتخصصة وأصناف أخرى من الاطارات العلمية ...

أعلم أن البلدان العربية الاخرى ـ باستثناء مصر ـ تنزع الى التخلى عن التعليم التقليدى وتعتنق المذاهب التربوية الغربية ، ولذا أود أن أعرف ما هو الاتجاه الذى ستتجهه الجامعة التونسية المزمع احداثها ، هل سيقع اهمال التقاليد الجامعية أم هل سيتم تبنى المذاهب التعليمية الاجنبية والغربية فى أكثرها ؟ أود أن أعرف هل وقع الاعتناء بالتربية التقليدية اعتناء كافيا .

الاستاذ الامين الشابى :

ليـــس لى لاجابة النائب المحترم الا أن ألفت نظره الى أنه تم منذ ثلاث سنوات اصلاح كلية الشريعة اصلاحا جوهريا حتى يتسنى هضم قيم الفكر الاسلامى الروحية ، وقد كان أسلوب التعليم بها عتيقا ثقيلا على كاهل الطلبة لا يسمح لهم بالبحوث الشخصية .

أما فى ما يتعلق بالتكوين الصناعى فانى أجد ملاحظتكم وجيهة باعتبار أنه يجب الاحتياط من ايجاد هيئة من الجنرالات من دون جيش ، أى أنه يجب اجتناب تكوين مهندسين كبار من دون توفير الاطارات المتوسطة التى يعتمد عليها أولئك المهندسون الا أن البلاد التونسية انتهجت فى هذا الباب سياسة رشيدة ، فقد شجعت التعليم الثانوى الفنى الذى يدوم ست أو سبع سنوات والذى لا يكتفى بتزويد التلامذة بثقافة واسعة بل هو يعلمهم كيف يعالجون الواقع ويستعملون الآلات ...

انكم أكدتم أن مهمة الجامعة الرئيسية هى تكوين المربين والاساتذة . الا أنى أعتبر هذا الرأى الذى دعت اليه الجامعات الفرنسية طيلة عشرات السنين ناقصا اذ أن أى مذهب من مذاهب التعليم يجب أن يستجيب لمطالب الامة ، وتكوين الاساتذة أحد هذه المطالب ولكنه ليس المطلب الوحيد .

ان المهم فى البلدان الناقصة التطور هو العمل على ازدهار الاقتصاد بأكبر

سرعة ممكنة اذا توفرت الوسائل المالية والامل معقوده على أن يلعب التضامن البشرى دورا فعالا فى هذا الميدان ٠

ومهما يكن فلأطمئن حضرة النائب اللبنانى فأقــول له ان أول ما أنجــزته الحكومة التونسية فى الميدان الثقــافى غداة الاستقلال هو تأسيس دار عليــا للمعلمـــين ٠

بعد محاضرة الاستاذ ألبر حوراني

الاستــاذ سيسيل حوراني :

أعتقــد أنه لا يمكن لجامعة قومية ان تستقل فى الظروف الحالية عن طلبات المجتمع وحتى عن الحكومات ، لذا أتساءل هل فى الامكــان ايجاد جامعة حــرة حقيقية ؟٠٠ ثم هل يمكن أن تكون الجامعة « قومية » ٠ الجامعة تكــون قوميــة بمعنى أنها تشرف على نظام التعليم القومى ولكن البحث عن الحقيقة والتصريح بالحقيقة لا يمكن حصرهما فى الحدود القومية وان أمكن التعبير عنهما باللغــة القومية ٠ وسيأتى اليوم الحاسم الذى يمكن أن نعرف فيه هل الجامعة القومية جامعة حقيقية أم هى مجرد معهد للتعليم العالى أو دار عليا للمعلمين ؟ والمعيار فى هذا الصدد هو : هل يتيسر لاساتذة أجانب التدريس بها واذا تيسر ذلك ما هى الاسباب : هل أتوا للافادة من الفكر الخلاق الطريف الذى تمتاز به هــذه الجامعة ؟ فاذا زاروا الجامعة التونسية هل فعلوا ذلك لانها الجامعة الوحيدة التى يمكن دراسة الكيمياء الحياتية بهــا حيث بلغت البحوث مستوى رفيعــا ٠٠٠ ويظهر لى أنه فى الامكان ايجاد جامعة بالبلاد العربية التى تعــد سبعين مليون ساكن تكون غير متأثرة بالاعتبارات النفعية وغير خاضعة للمجتمع وليس من الضرورى أن نسميها جامعة بل أن كلمة « مركز » أفضل لان العناصر تتحرك حول المركز ٠ وان هذا المركز يفرض وجوده اليوم لان رجال الثقافة والفكر والادباء العرب فى حاجة اليوم الى مكان ينصرفون فيه الى بحوثهــم وتفكــيرهم ويتحررون بالالجاء اليه من كل أنواع ضغط المجتمع عليهم ٠

ان وضع المثقف العربى صعب اليوم لان المجتمع يتطلب منه أعمالا كثيرة ، وانى أتساءل هل يجب أن يضحى المثقف بنفسه فى سبيل المجتمع ٠ وأعتقد أن فى اشتغال المثقفين بالوظائف الحكومية وبالصناعة والاذاعــة حيث يؤدون خدمات جليلة خسارة عظمى وان فائدتهم تكون أكبر لو ساروا مع اتجاههــم الاصلى ٠ انهم فى حاجة ــ مهما كانت الصور ــ الى ملاذ يخلون فيه الى أنفسهم عند ما يتعاظم ضغط المجتمع ويمارسون نشاطهم الثقــافى ٠ ويمكن أن يلعب المركز الذى اقترحته هذا الدور بشرط أن تتيسر فيه الاقامة وألا يكون ممولا من طرف الحكومة ٠ ويجب أن يؤسس هذا المركز فى بلاد تتمتع بالحرية العقلية الضرورية ومجاورة للعالم غــير العربى أى قريبة من البحر الابيض المتوسط وعند ما أفكر فى هذا المركز أو أحلم به لا أجد مكانا أليق من مدينة الحمامات التى زرناها بالامس ٠ هناك المكان المثالى لهذا المركز الذى يتحتم احداثه حتى تتجدد الروح العربية وتخصب من جديد ٠

الاستـــاذ شـــويمـــــى :

فــــــى ما يخص النقطة الاولى التى أثارها السيد حورانى المتعلقة بالانسان العربى الكامل وبالثقافة التى يجب أن يتحلى بهـا أوافقة على ما لاحظ مــن أن المثقفين العرب عند ما يدركون مستوى معينا من الثقافة يحسون بأن أدبهم لم يعد غذاء كافيا • وهذا ما يعلل اقبال الشباب على الآداب الاجنبية • ذلك لا يعنى أن الادب العربى دون الآداب الاخرى وانما يعنى أن أى أدب قومى لم يعد كافيا للمثقف العصرى فى أى بلـد كان • ان الادب العربى أثرى فى المـاضى بفضل الترجمة عن الآداب القديمة الاخرى وخاصة اليونانية منها وان ما يسمى اليوم بثاداب عربية (أدب ، تاريخ ، جغرافيا ، فلسفة) ليس بالانتاج العربى بالمعنى الاصلى الصحيح وانما هو انتاج عربى اللسان توجد فيه آثـار الآداب الاخرى القديمة ، وبالخصوص الادب اليونانى الفارسى • وأنا اليوم أمام نفس المشكل الــذى وجد منذ قرون فى عصر المأمون • يوجد اليــوم آداب أخــرى وثقافات أخرى ، ومن واجب المثقف العربى ــ فى نظرى ــ الانكباب على هذه الآداب اذا هو رام أن يتكون تكوينا صحيحا وأن يكــون فى مستوى غيره من المثقفين فى العالم العصرى • وانى أوافق من يقول بأنه يحسن بالمثقف العربى أن ينهل من الآداب الاجنبية كى تتغير عقليته ويمكنه النظر الى أدبه من زاوية أخـــــرى •

وأوافق أيضا على القول بأن الجامعة الحقيقية يجب أن لا تكون قومية فذلك مناقض لطبيعة الجامعة • ضرورى أن تكــون الجامعة عالمية وأن تتنــوع فيهـا الدراسات وتمتزج الثقافات وأن يكون أساتذتها جاؤوا من بلدان مختلفة •

الاستـــاذ شـــــلس :

ان التقـاليـد لا تتجدد الا اذا عمل فى سبيل ذلك أناس يؤمنون بقيمتها ، عوض الاكتفاء بالتغنى بمزاياها وتعديد انجازات الماضى المجيد •••

الاستـــاذ دجمـــــس :

سـأحـاول أن أوضح فكرتى بالاستشهاد بالمملكة المتحدة وهى بلاد أعرفها قد عاش الدين المسيحى فيها فترة صعبة خلال القرن الماضى • فقــد كان هــذا الدين مهددا بالقطيعة مع العالم العصرى فى نفس الظرف الذى كان فيه الفكر العصرى يتصارع مع نظرية « داروين » والعلم بوجه عام ومع الروح النقــدية المسلطة على النصوص المقدسة بألمانيا • كانت الكنيسة فى أنقلترا تحيا حينئذ أزمة حادة ، ومما لا شك فيه أن الكثير من الانقليز ألحدوا فى تلك الظروف • الا أن الذى لا شك فيه أيضا هو أن الكنيسة ــ أثناء هذا الصراع بــين الدين والعلم ــ فكرت مليا وتغلبت على الصعاب بحيث بقيت الى اليوم تلعب دورا كبيرا فى الحياة القومية الانقليزية ولو انعقد هذا المؤتمر هناك لوجدت رجال الكنيسة

بين المؤتمرين • ان سؤالى هو الآتى : هل ترون أن الدين الاسلامى يمكنه أن يحيا هذه الازمة الشافية وأن يفوز بهذا الانتصار للفكر أم أنه يوجد مانع جوهرى يحول دون هذا الذى وقع للدين المسيحى بأنقلترا فى منتصف القرن الماضى ؟

الاستاذ الامين الشابى :

هناك مشكل المجتمع • ان الانسان العربى الكامل قد يوجد من جديد كفرد من بين نخبة قليلة أو كثيرة ، الا أن الشعوب العربية لا تزال فى وضعية البلدان المتخلفة اقتصاديا وستبقى كذلك أمدا طويلا ، ومن أجل ذلك فان المجهود المبذول فى ميدان التعليم لا ياتى ثمرته والانسجام مع الحياة الاقتصادية المعاصرة ان لم نقل الاجتماعية وحتى السياسية غير حاصل ، وهذا المشكل جدير باهتمام الجامعيين والجامعات بالعالم العربى • فاذا وفقت الجامعات الى تكوين الاطارات الكفيلة بايجاد النمو الاقتصادى والاجتماعى فانها تكون قد ساهمت مساهمة كبيرة فى تحسين واقع العالم العربى بصفة عامة •

حول اللغة العربية

الاستاذ سيسيل حورانى :

أود أن أعرف هل وقع اصلاح أساليب تعليم اللغة العربية • انها مشكلة موجودة فى جميع البلدان العربية وان كل اصلاح حقيقى لنظام التعليم يحسن فى رأيى أن يكون مصحوبا باصلاح تعليم اللغة العربية حتى يمكن للطلبة أن يمسكوا ناصية اللغة العربية فى أجل أقصر من الاجل الضرورى اليوم ، فان الطالب البريطانى المتوسط الذكاء يحسن استعمال لغته فى الثانية أو الثالثة عشرة من عمره •ولا أظن أن الامر كذلك فى تونس أو فى أى بلد عربى آخر ، لذا أعتبر أنه ما لم يبذل مجهود جبار فى هذا الباب بالنسبة للشبان فان اصلاح نظام التعليم بتونس أو فى أى بلد آخر لن يتم •

الاستاذ أحمد الفانى :

ان تعليم اللغة العربية يجرى الى حد الآن بأسلوبين متباينين : الاسلوب القديم الذى كان ناجعا وناجحا فى العصور السابقة والذى لا يمكن أن يبقى اليوم ، والاسلوب الغربى الصرف ، وذلك أن المستشرقين ، من غير العرب طبعا ، كانوا يعلمون اللغة العربية والى جانبهم يوجد تونسيون تكونوا فى الجامعات الفرنسية ويعلمونهم أيضا كما يعلم الاجانب • ان تعليم اللغة العربية أمر مهم فى نظرنا ونريد أن نرجع للغة العربية المكانة التى تستحقها ولا يمكن أن نصل الى هذا الغرض الا اذا جمع الاساتذة بين المعرفة التامة للغة العربية وبين الاخذ بالمبادىء العصرية لتعليم اللغات •

الاستاذ محجوب بن ميلاد :

اننا معنيون بأن تعود للغة العربية قيمتها البيداغوجية ونجاعتها التامة

وباعتباري أستاذا مكلفا باعداد المعلمين بمدرسة ترشيح المعلمين منذ ما يقرب من عشر سنين أؤكد لكم أن التكوين البيداغوجي للمعلم العربي اللسان ليس بأقل من تكوين المعلمين الفرنسي اللسان ، وفي الوقت الحاضر يمكن القول بأن خطوات شاسعة وقعت في طريق اللغة العربية وجعلها أداة تعبير وأن المعلمين ذوي اللسان الواحد الذين لم يبلغ مستواهم الفني والتربوي المستوى المرضي سوف يلتحقون بزملائهم في المستوى البيداغوجي اللائق ٠

الاستاذ نشابي :

انـي لا أرى تناقضا بين تبني لغة فنية قد تكون الفرنسية أو الانقليزية أو الالمانية وبين استبقاء اللغة القومية كلغة تعليم وأنه لمن دواعي الارتياح أن يوجد لدى جميع الشعوب العربية لغة متينة الاركان قابلة للتطور ٠

الاستاذ الامين الشابي :

انـي أعتبر أن أي نظام من نظم التعليم يطمح الى استعمال لغة قومية غير ناضجة من ناحية الانتاج العلمي والفني لتدريس المواد العلمية والفنية ، أعتبر أن هذا النظام التعليمي مهدد بالانحطاط ٠

أما في ما يتعلق بمحاولة الصاق لغة فنية باللغة العادية فاني لا أدري هل فكر حضرة النائب اللبناني فيما يسمى بحركة التفكير المتصلة بحركة التعبير وأنه عمل اصطناعي ملفق أن يفكر المرء بالانقليزية وأن يعبر عن تفكيره هذا في لغة تتعدد الالفاظ الفنية فيها الى اللا نهاية ؟

الاستاذ سيسيل حوراني :

لـن تجدد اللغة العربية الا بواسطة الروح العربية ٠ ان عودة الروح هي التي تستتبع احياء اللغة أي ان الفكر هو الذي يستنبط آلة التعبير ما من شك في ذلك وان احياء اللغة العربية مرهون باختصار أساليب التعليم حتى لا يضيع الطالب عمره في تعلم اللغة ويتمكن بذلك من الاهتمام بمواضيع أخرى ٠ فاذا سألني أحدكم الآن سؤالا حول قواعد النحو الانقليزية فاني لا أستطيع الجواب لاني نسيت هذه القواعد ما دمت في غنى عنها ، الا أن الامر ليس كذلك بالنسبة لمن تعلم اللغة العربية فانه لن ينساها لانها رسخت في ذهنه نتيجة السنوات العديدة التي قضاها في تعلمها ولانه هضمها بعد سنين الطفولة وقد يخالفني في هذا الرأي زملائي التونسيون وربما زملائي العرب الآخرون ، وأود أن أعرف رأيهم في هذا الموضوع الا أني أعتقد أن معرفة المثقفين الانقليز للغتهم أضعف بكثير من معرفة المثقفين العرب ٠ ولا يكفي أن نختصر النحو بل يجب أيضا اختصار أساليب التفكير ، يجب أن يفكر المرء بطريقة مباشرة وبسيطة ويجب أن يتخلص الفكر الذي أداته اللغة العربية من كل ما ليس جوهريا ، يجب أن يصبح في الامكان أن يستعمل المرء اللغة العربية وأن يقول

شيئا • واذا اعتمدت فى هذا الباب على تجربتى الشخصية قلت أن الشخص الـذى نجح فى احياء اللغـة العـربية واستعمالها لنشر أفكـاره السياسيـة والاقتصادية وللتعبير عن آرائه الفلسفية مع التخلص من عدد كبير من حدودها هو الرئيس بورقيبة فاذا سمعتم خطبه لاحظتم أن اللغة العربية آلة تفكير وتعبير تمكنه من أن يشرح لمستمعيه وحتى الى الاميين منـهم آراء معقدة بلغـة بسيطة ومباشرة ، وأعتقد أنه لم يتوصل لهذه النتيجة الا لانه عرف ثقافة أخرى ولغة أخرى • لا أظن أنه يفكر بالفرنسية ويترجم الى العربية بـل أعتقد أنه يفكر عربيا وأن فكره الذى احتك بثقافة أخرى أفاد وضوحا وصفاء •

الاستـاذ حيـــدر :

أريـــــد أن ألاحظ أن اللغة العربية لا تمثلها معرفة الناطقين بها فى ظرف من ظروف التاريخ ، لقد ذكر الاستاذ سيسيل حورانى الصعوبة التى يجـدها المرء عند ما يريد استعمال اللغة العربية بصورة مضبوطة ولاحظ أنه كثيرا ما يتكلم الانسان عربيا ولا يقول شيئا • أود أن نذكره أن اللغـة العربية كانت منذ ثمانيـة أو تسعـة قرون أداة المعرفة البشرية الوحيدة وبذلك كانت لغـة عالمية وبسبب انحطاط العرب السياسى لم تعد اللغة العربية أداة لنقل المعرفة حتى بين العرب أنفسهم ومنذ ستين سنة تقريبا كان من الصعب أن تجد عربيا قادرا على معالجة أى موضوع فى لغته القومية من دون أن يخطىء اخطاء نحـوية ولغوية كثيرة لكن تغيرت الحال اليوم وأمكن للكتاب العرب فى أى موضوع من مواضيع المعرفة البشرية بلغة سهلة تقارب الكمال ، ويجب أن نواصل العمل حتى تبلغ اللغة العربية الكمال العلمى • لقد أثار الاستاذ حورانى عدة مسائل منها ضرورة اختصار النحو العربى ، وهذه نقطة مهمة ، لذا أريد أن أطمئنـه فأقول له ان هذا الاختصار بدأ الشروع فيه وهو الآن مستمر مع عـدم العناية الرسمية وحتى مع مجهود المدارس نفسها ويكفى أن نقارن بين الاسلوب الذى تعلمت به اللغة العربية منذ ثلاثين سنة وبين الاسلوب الذى يتعـلم به الطلبة اليوم • وبقدر ما يتم اختصار قواعد النحو وقواعد اللغة نفسـها يتم اختصار التفكير وان مثال الرئيس بورقيبة الذى ذكره الاستاذ سيسيل حورانى يؤيد نظريتى وهى أنه ليس من المستحيل أن يتمكن مثقف عربى من التعبير عن رأيه بلغة مناسبة مضبوطة واذا قيل أن اللغة العربية لا تدفق اليوم افكـار المثقفين العرب فان الذنب ليس ذنبها بل هو ذنب هؤلاء المثقفين • ان ستة قرون مرت على العرب نسوا فيها لغتهم ولولا جبل لبنان كما نقـول لكـان فى الامكان أن تموت اللغة العربية وذلك ما يعلل ضعف هذه اللغة فى الميدان العلمى ، الا أن جميع الذين درسوا بأوروبا أو أمريكا أخذوا يكتبـون عربيا عند رجوعهم الى أوطانهم ، فليس من العجيب اذن أن نجد فروقا فى الاصطلاحات تبـلغ أحيانا حدود عدم الفهم بين الكتب المدرسية اللبنانية والمصرية والعراقية أو العراقية والسورية ، الا أن هذه الفروق كانت أعظم منذ عشرين سنة ، ومن العدل أن

نعترف بأن تظافر جهـود العلمـاء العرب يعمـل شيئا فشيئا عـلى توحيـد الاصطـــلاحـات ٠

الاستــاذ الشــويمى :

٠٠٠ **انـــــى** لا أوافق الاستــاذ سيسيل حورانى فى موضـوع العقـلية العربية عند ما قال ان العربى يتكلم كثيرا ولا يقول شيئا وانى أرى أن الذنب ليس ذنب عقليته بل هو ذنب الادب الذى وقع الاختيار عليه والـذى درسه ، والحق أنه وقع اختيار أدب حظ التعبير فيه أعظم من حظ الافكار بينما اشتهرت اللغة العربية بأنها لغة مضبوطة لا تتسع الى الهذيان الا أننا أصبنا طلية قرون بادباء اثروا الاسلوب والتأنق فى الاسلوب واذن فالمسألة مسألة اختيار الادب الذى يجب أن يغذى شبابنا ويكونه ٠٠٠

شارك فى ترجمة المقالات مع أسرة الفكر الاستاذ المنجى الشملى فله شكرنا

كتب وردت الى المجلة

من لا شى:	
نظرات من الحياة	**خليـل رامز سركيس**
فى الرابطة الادبية	**كامل محمـود حبيب**
14 تموز فى الرابطة الادبية	**الرابطة الادبية فى النجف**
بـوح (قصائـه وأهـازيج)	**ادفيك جريدنى شيبوب**
ذكريـاتى مـع جبران	**ادفيك جريدنى شيبوب**
مصرع الطغـــاة	**عبد الله ركيبى**